وزارة التّعليم العـــــــالي والبّحث العلمـــي
جامعـــــة محمّد خيضر-بسكـرة-
كلـــــــيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة _ قطب شتمة _
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

سعد زغلول و دوره في الحركة الوطنية المصرية 1882-1927م

مذكّرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعـــداد الطالب :
عادل حسيني

إشـــراف الأستاذ :
سالم كريوعة

السّنة الجامعيّة: 2015- 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانها أما بعد :

اتقدم بالشكر الكبير الى الاستاذ المشرف سالم كربوعة على توجيهاته و ارشاداته و صبره معي طيلة تحضير لإتمام هذه المذكرة كما اتوجه بالشكر الى جميع الاساتذة في كلية علوم انسانية و كذلك عمال المكتبة و الادارة و الى كل الزملاء و الزميلات من ساهم من بعيد او من قريب في انجاز هذه المذكرة

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
تح	تحقيق
ط	طبعة
مج	مجلد
ح ع 1	حرب العالمية الاولى
ب ب	بدون بلد
ب ت	بدون تاريخ
P	page

المقدمـة

وقعت مصر تحت الاحتلال البريطاني سنة 1882 ، حيث بدأت أطماع بريطانيا في مصر تتعاظم بعد افتتاح قناة السويس ، فقد حاولت الحركة الوطنية المصرية بالعمل على مقاومة القوات البريطانية للخلاص من الاستعمار الاجنبي ، إلا أن هذه الحركة كانت قليلة الفعالية ولم تتمكن من طرد الاستعمار البريطاني ، فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تطلع المصريون الى نيل الاستقلال و تنفيذ وعود بريطانيا لهم بالجلاء عن مصر وذلك بعد ان عبر رئيس الولايات المتحدة الامريكية في مؤتمر الصلح المنعقد بباريس المتمثل في حق تقرير مصير الشعوب المحتلة بنفسها و بالرغم من تصريح رئيس الولايات المتحدة الامريكية إلا ان بريطانيا لم تمنح الاستقلال لمصر و على اثر هذا قامت ثورة شعبية سنة 1919 بقيادة سعد زغلول من أجل الخلاص من الاستعمار الاجنبي و تتطلع الى انهاء الحكم البريطاني .

– **الإشكالية** : الى أي مدى ساهم سعد زغلول في تفعيل الحركة الوطنية المصرية ؟

و من هذه الإشكالية تتفرع مجموعة من تساؤلات الفرعية:

- من هو سعد زغلول ؟
- فيما يتمثل نشاطه في تفعيل الحركة الوطنية المصرية ؟
- ماهي الاسباب التي أدت الى اندلاع ثورة 1919 ؟
- ماهي نتائج ثورة 1919 ؟

اسباب اختيار الموضوع :

الاسباب الذاتية:

- محاولة الخوض في المواضيع المتعلقة بالحركات الوطنية المناهضة للاستعمار خاصة في الوطن العربي و بالخصوص مصر .
- الاهتمام في دراسة تاريخ المشرق و مقارنته بالمغرب الوطني .
- الرغبة في القاء الضوء على جزئ من الكفاح المصري .

الأسباب الموضوعية:

- دراسة الشخصية و تعرف على مختلف جوانب حياتها السياسية.
- محاولة تسليط الضوء على مرحلة هامة في تاريخ مصر السياسي .
- محاولة الكشف عن سياسات الاستعمار البريطاني في مصر .
- اضافة دراسة جديدة في حركة الوطنية المصرية في المكتبة الجزائرية .

أهداف الدراسة :

- اظهار حقيقة الاستعمار البريطاني على مصر من خلال ابراز سياسته.
- تبيان الدور الذي قام به شخصية سعد زغلول في حركة وطنية مصرية.
- اعطاء صورة للأيديولوجية السياسية و التوجهات الفكرية داخل المجتمع المصري و قائد الثورة سعد زغلول .
- التعرف على العديد من الشخصيات الفاعلة في الحياة السياسية المصرية سواء الوطنية منها او الأجنبية .

الصعوبات

- فقر مكتبة القسم من الكتب المتخصصة في الموضوع.
- صعوبة الحصول على المراجع باللغة الاجنبية و عدم تواجدها في مكتبة القسم.
- تناقض الكتاب المصريين في سرد الحقائق التاريخية و كتابتها .

المنهج المتبع

المنهج التاريخي الوصفي : من خلال سرد الاحداث التاريخية بطريقة وصفية كرونولوجية وهذا بالتطرق الى مختلف المراحل التي مرت بها هذه الشخصية ابتدءا من المولد الى الاستشهاد .

المنهج التاريخي التحليلي : وقد اعتمدته لدراسة وتحليل الوثائق والمعلومات التاريخية والشهادات لتفسير تطور الاحداث المتعلقة بحياة الشخصية وإسهاماته في الحركة الوطنية المصرية من خلا تحليل مذكراته الشخصية .

شرح الخطة :

و للإجابة عن الإشكالية قسمت الموضوع الى فصل تمهيدي بالإضافة الى اربعة فصول اخرى

الفصل التمهيدي : تكلمت فيه على مولد سعد زغلول و مدى اختلاف الباحثين في اراءهم حول تاريخ مولده و تطرقت الى نشأته حتى السن السابع ثم انتقلت الى الحديث عن البيئة التي كان يعيش فيها سعد زغلول و كذلك في الفصل التمهيدي تطرقت الى تكوين سعد زغلول العلمي و السياسي .

الفصل الاول : تكلمت عن تقلد سعد زغلول لوزارة المعارف و كذلك الى المعارف بمصر قبل تولي سعد زغلول مهامه و سياسة مصر التعليمة في المدارس ، ثم انتقال سعد زغلول من وزارة المعارف الى وزارة الحقانية حيث تطرق الى خلفية وزارة الحقانية في تواجد سعد زغلول بها و

نشاط سعد زغلول في وزارة الحقانية بسرد الاحداث التي واجهت سعد زغلول في هذه الوزارة ثم تطرقت الى تقلد سعد زغلول وكالة الامة المصرية بعد نجاح في خوض الانتخابات و مدى نشاطه السياسي كوكيل للأمة في الجمعية التشريعية .

الفصل الثاني: تطرقت في الحديث عن اعلان الحماية البريطانية على مصر و ما خلفته الحرب العالمية الاولى على المجتمع المصري خاصة بعد ميل الدولة العثمانية الى الانتماء الى المعسكر ألمانيا و النمسا ، و اتخاذ موقف بريطانيا من هذا الموقف عذرا و سببا في اعلان الحماية البريطانية على مصر ، و كذلك تطرقت الى وعود بريطانية بعدم اشراك الجيش المصري و كذلك مصر في هذه الحرب و ما ان بدأ الجيوش البريطانية التوافد على مصر حتى خلفت بريطانيا كل وعودها حيث تكلمت عن اشراك الجيش المصرية في هذه الحرب حيث اصبحت مصر مصرح للحرب وللمواجهات العسكرية ، ثم انتقلت الى الحديث عن تأليف الوفد المصري بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و بموجبها تكلم الرئيس الامريكي عن حق الشعوب في تقرير مصريها في مؤتمر الصلح فيه هذه الاثناء تكلمت على نشاط و محاولة الوفد المصري التنقل الى باريس من اجل تعريف بالقضية المصرية في مؤتمر الصلح و الى الصعوبات التي واجهها هذا الوفد و كذلك نشاطه الداخلي على ساحة السياسية المصرية و تعرضه الى النفي الى مالطا اثر نشاطه الكبير في ارسال عدة رسائل الى مختلف صناع القرار في اوروبا .

الفصل الثالث : في هذا الفصل تطرقت الى مجريات التي عصفت بمصر اثناء نفي سعد زغلول الى مالطا و بداية الثورة في 1919 اثر هذه الاحداث التي تعرض اليه زعماء الوفد المصري ، حيث تحدت عن احداث الثورة و انتقالها من القاهرة الى الاقاليم الاخرى في احداث متتالية و سريعة و مدى تأثير نفي سعد و رفقائه في نفسية المصريين ، بحيث كانت الاحداث تتناقل بمشاركة كل طبقات المجتمع المصري فيها و كذلك تطرقت في الحديث عن محاولة السلطة البريطانية في اخماد هذه الثورة من خلال سياستها التعسفية العسكرية وجدت استنفار كبير من المجتمع المصري و جعلت منه يثور اكثر فأكثر ضد هذه السلطة في احداث اثر بشكل كبير على الحياة السياسية في مصر و كذلك اثر على المجتمع المصري من خلال خسائر و فقد في الارواح خاصة و تطرقت الى الحديث عن مواجهة السلطات البريطانية للثورة اولا مواجهات عسكرية ومن ثم اللجوء الى و سياسة اخرى اي سياسة المهادنة من اجل كسب الرأي العام العالمي اتجاه الحماية البريطانية و سياستها على مصر، بعد ذلك تطرقت الى سفر الوفد المصري

و نشاطه السياسي في اوروبا محاولة منه كسب الرأي العام و تعريف بالقضية المصرية في الخارج من خلال رسم طريق المفاوضات المصرية البريطانية لعله يصل بها الى حل في القضية المصرية حيث تحدثت عن فشل المفاوضات و ظهروه تصريح 28 فيفري و اثره على الحياة السياسية المصرية من خلال الغاء الحماية البريطانية على مصر و ابرام اتفاقيات حيث اعتبرتها الحركة و الوطنية احتلال بصبغة جديدة و كذلك تطرقت الى الحديث بموجب هذا التصريح الى ظهور دستور 1923.

الفصل الرابع : تحدثت فيه على وزارة سعد زغلول اثر توليه وكالة الشعب بعد رجوعه من المنفى و نجاحه في الانتخابات النيابية و كذلك الى الاحداث و التصادمات التي واجهتها هذه الوزارة ثم تطرقت الى الحديث على مفاوضات او بمعنى المحادثات التي دارت بين سعد زغلول و السير ماكدونالد التي باءت بالفشل من خلال عدم رضى الطرفين و وصولهما الى نقطة تفاهم اثر تقديم كلا منها لمقترحات لم تنل اعجاب و رضى الطرف الاخر ثم الحديث عن مؤامرة الملك ضد سعد زغلول اثر فشل هذه المفاوضات الى تمكن من الاطاحة به من على الوزارة ، و تطرقت كذلك الى الحديث عن ايام سعد زغلول الاخير و كذلك الى اشتداد المرض به و عن وفاته و كذلك عن تكفل الوزارة بتشييع جنازة سعد زغلول .

نظرة على المراجع

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر و المراجع كان لها دور كبير في تغطية جوانب و احداث التي تطرقت لها من بين هذه المصادر و المراجع :

– مذكرات الشخصية لسعد زغلول من تحقيق عبد العظيم رمضان حيث اعتمدت عليها في الفصلين التمهيدي و الاول نظرا لوجود حقائق تاريخية شهدها سعد و كتبها بنفسه من مولده الى البيئة التي عاش فيها الى تقلده مناصب وزارتي المعارف و الحقانية

– محمد عبد الخالق لاشين اعتمدت عليه في الفصل الاول و الثاني نظرا لمحتوى الذي يحمله الكتاب في ابراز عدة اراء مختلفة في نظر الكاتب من مولد سعد الى وفاته

– و كذلك اعتمدت على عبد الرحيم فهمي و مذكرات محمد حسين هيكل وعبد الرحمان الرفاعي و عبد العزيز الرافعي و مجموعة من المراجع الاخرى التي تضيف اراء مختلفة شملت الموضوع بدرجة كبيرة .

الفصل التمهيدي :

اولا : مولده و نشأته

ثانيا :تكوينه العلمي

ثالثا :تكوينه السياسي

الفصل التمهيدي :

اولا :مولده و نشأته

1/ مولده :

اختلفت الاراء في تحديد مولد سعد زغلول [1] حيث يرى عباس محمود العقاد انه ولد في اول من جوان سنة 1860 [2] في حين يرى عبد الخالق محمد لاشين انه ولد سنة 1859 [3] ويرى عبد العظيم رمضان ان سعد زغلول ولد في شهر ذي الحجة من سنة 1274هـ الموافق من جويلية 1858 التاريخ الذي صرح به سعد زغلول لسكرتيره ، فقال سعد أنه "**يظن على ما سمع ممن شهدوا مولده ان تاريخ 16 من ذي الحجة 1274هـ**" هو تاريخ مولده ، على هذا فقد قدر سعد زغلول عمره في الاحصاء العام الذي تم في عام 1927 بتسعة و ستين عاما ميلاديا[4] من اب اسمه ابراهيم زغلول هذا الاخير تزوج مرتين الاولى تدعى فاطمة رزق منها ببنتين : فرحانة و ستهم و خمسة اولاد عبد الرحمن و شناوي و محمد و احمد و كذلك شلبي و لكن لا تحدثنا المصادر عن هذه السيدة ام الزوجة الثانية اسمها مريم بنت الشيخ عبده بركات احد وجهاء القرية حيث يعتبر من كبار الاغنياء و مشاهيرهم في قطر المصري حين ذاك وقد تم زواجه بها حوالي سنة 1851-1852 حيث رزق منها بأربعة أولاد و هم سعد و فتحي و ستهم و فرج الله و ذكر سعد زغلول في مذكراته الشخصية عن والديه فيقول " **انه ولد من ابوين جاهلين لم يتعلما في مدرسة او مكتب حيث كان حالهما حال كثير من عمدة البلاد المتوسطين" ولم يلبث والده ان توفي بعد ولادته بسنوات اربعة حيث يقول سعد في مذكراته " لما مات والدي كنت صغيرا جدا ولا اتذكر شخصه إلا انه كان ذا شنب يميل للصفرة طويل ... و انه لما مات نصبت خيمة و استمرت منصوبة عدة اسابيع كان يؤتى فيها بطعام و كذلك كعك يفطر الناس بها حيث كانت وفود من الناس ينامون في تلك الخيمة**" [5].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي :**في اعقاب الثورة المصرية ثورة 1919** ، دار المعارف ، القاهرة ، 1987،ص346.

[2] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول زعيم الثورة** ، دار الهلال ، مصر ، (ب ت) ،ص9.

[3] عبد الخالق محمد لاشين : **سعد زغلول دوره في السياسة المصرية حتى 1914** ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، 2010 ، ص22 .

[4] سعد زغلول : **مذكرات سعد زغلول : تح عبد العظيم رمضان**، ج 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتب ص48.

[5] محمد لاشين عبد الخالق ،**المرجع السابق**، ص21.

وقد امسك سعد من ان يذكر شيئا عن ماضيه في تلك الفترة فكل ما نعرفه عنه ان والدته قامت بتربيته وساعدها في ذلك الشناوي شقيق سعد من والده الامر الذي جعله يعطف عليه و على اخيه و اخته[1].

2/1 بيئة سعد و نشأته :

لم ينشأ سعد زغلول من فقراء الفلاحين إلا انه استطاع ان يشعر بكاهلهم و شقائهم و لكن لم يصبر عليه كما يصبر الزراع المساكين في كل ارض منيت بالظلم و الجور و بطلت فيها الغيرة على المظلومين و الفقراء ، بطول ما شغل الناس بمصائبهم عن مصائب الاخرين[2] حيث ولد من اسرة صميمة كان ابوه الشيخ ابراهيم زغلول رئيس مشيخة القرية اي –عمدتها– من كبار اصحاب الثراء فيما كان يملك نيفا و مائتي فدان فيما يسمى بالجزائر ، و كذلك بيت فسيحا يتسع لكثير من الزوار و كان يتحدى الحكام الترك في مظهره و مقامه اما امه فكانت مريم بنت الشيخ عبده بركات من اسرة عريقة اتصل اباؤها بالولاة منذ عهد محمد علي جمعتهم المصاهرة في اعرق البيوت في اقليم الغربية في اسرة غنية عزيزة من ناحية ابيه و كذلك امه في حين ان نشأته كانت في اسرة عزيزة إلا ان بيئته كانت تعاني من ظلم و تعسف الحاكم و قد كان جزاء كل من يتعدى على الحاكم سواء بالشتم او بالقول الخشن –بله الضرب و الاثخان فيه – ان يسجن حتى يبلى و يجلد حتى يتهرأ جلده او يموت شنقا وحدث في اقليم الغربية عمدة فلاحا اجترأ على ناظر القسم التركي بالإهانة فكان عقابه الشنق حتى الموت و امروا بتعليق جثته في ساحة الديوان ليكون عبرة ففي تلك الايام مر ناظر القسم التركي بأرض الشيخ ابراهيم الواقعة على ساحل النيل وانه في نجوه من كل سوء يصيبه من انفة الشيخ ابراهيم بعد العبرة الماثلة في اذهان الفلاحين من حادثة العمدة المشنوق حيث قام ناظر التركي بعدة حركات استهتار على الشيخ ابراهيم بالتأنيب و الاستخفاف به فكبر على الشيخ ان يساء اليه بهذه الطريقة في ارضه و هو بهذا المقام ، فمد يده على ناظر قسم التركي المتمثل في رمز الحاكم فأهوى به ارضا من على جواده حيث قام بضربه أمام اهل القرية حيث سرى الخبر في جوار القرية فجاء اليه صهره عبد الله افندي بركات يلومه على ما فعله بالحاكم و يذكره بمصير العمدة المشنوق [3].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق ،**المرجع السابق**، ص21،22.

[2] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، مطبعة الحجازي ، القاهرة،(ب ت) ص50.

[3] سعد زغلول : **المصدر السابق** ، ص 50..

ما كان على عبد الله افندي إلا ان يبذل جهوده في اقناع الحاكم و ارضائه حيث قدم له المال من أجل ان يسكت على ما ارتكبه الشيخ ابراهيم ، و كان الشيخ عبده بركات جد –سعد زغلول لأمه من اغنياء و وجهاء اقليمه و يعتز بمكانه اكثر من اعتزازه بماله ، حيث حقد عليه الحاكم التركي و قرر ان يجمع له وجهاء البلد الى الساقية و ارسل في طلب الشيخ عبده بركات ليلقاه بينهم لقاء مهينا و يغض من كبريائه و بسطة جاهه [1].

أمر الحاكم في اثناء ذلك برجل مغضوب عليه شده الى ثور الساقية و ترك الثور يدور فيها يجره وراءه حتى اقبل الشيخ عبده ان بادر الى الرجل لحل وثاقه و لم يبالي بما قد يصنعه الحاكم البلد امام جنده و حشمه فظن الحاضرون ان امر عبده بركات مقضى عليه لا محالة و انه سيناله غضب الحاكم و التنكيل به إلا ان حكام ذالك الزمان تواردهم نوبات يصطنعونها يفاجئون بها من لا ينتظر اذ يعظون الناس بالغضب في ساعة الرضى و الرضى في ساعة الغضب فلم يغضب الحاكم على الشيخ عبده بركات بل نهضا له واقفا و حياه و قال لوجهاء البلاد و للحاضرين "**ان هذا الرجل الذي جلستم تنتظرون له لأشرف منكم جميعا**"[2].

فلقد ولد سعد زغلول في بيئة تشاهد الظلم في غيرها و يقال ان بلدة ابيانة[3] في المقابل كانت مقصد طلاب الاصطياف في القطر المصري و السائحين الاجانب الذين يصطافون بساحل البلدة ، خاصة بعد الفتح العثماني اصبح كبار الاجانب و وكلاء الدول يتوافدون على ابيانة لترويح على النفس بهوائها و جمال مناظرها لقربها من الساحل [4].

حينما سأل فتح الله باشا هل عنده او عند احد من افراد اسرته ما يتبدل منه اثر على اسرة سعد زغلول او تاريخ نزوحها لهذه المنطقة فكان اجابته بالسلب اي انه لا يعلم تاريخ نزوحهم الى هذه المنطقة و متى قدموا اليها ، لكن يؤخذ من قرائن شتى ان تاريخ تواجد اسرة زغلول في ابيانة جديد العهد بالمنطقة و انها ليست بقديمة التواجد حيث يؤرخ لتواجدها الى قرن و نصف قرن[5].

---

[1] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول سيرة و تحية** ،ص ص، 51–53.

[2] **مرجع نفسه** ، ص 53،54 .

[3] ابيانة : تقوم بلدة ابيانة الان على شاطئ فرع رشيد من جهته الشرقية في شمال مدينة فوهة و هي في موضعها الحاضر تشبه موضع بيت الامة بالنسبة لنهر النيل و ترجع في ادارتها الى مركز فوه من اعمال المدرية الغربية انظر : كريم ثابت: **سعد زغلول في حيته الخاصة** ،القاهرة، 1929 ،ص 5.

[4] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص 55 .

[5] عبد الرحمان الرافعي :**المرجع سابق**، ص370.

ظهرت اسرة زغلول منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر في هذه المنطقة لكن موطنهم الاصلي فيبقى في تضارب من الاراء المؤرخين و لا ندري على وجه التحديد من اين جاءت اليها و الارجح انها نزحت اليها من اعماق الدلتا الاهلة بالسكان [1].

ثانيا : تكوينه العلمي

كانت في ذلك الحين تقاليد الاسر القديمة في مصر و خاصة في منطقة الريف تقضي بأن ترسل احد ابنائها الى جامع الأزهر بركة وتقربا الى الله ، حتى يكون منها احد رجال الدين[2] وأما الولد الثاني فترسله الى المدارس الحكومية المصرية فكان نصيب سعد زغلول التوجه الى جامع الأزهر و هو الولد الاكبر في الأسرة و اما فتحي أخاه فكان من نصيبه المدارس الحكومية المصرية ، و لما كان طريق الوصول الى جامع الأزهر أمرا يتطلب حفظ كتاب الله اي حفظ القران [3] ألحق سعد زغلول بمكتب القرية حتى بلغ الحادي عشر من عمره [4] و عندما عين الشناوي افندي رئيسا لمجلس مركز دسوق في عام 1870 اخذ اخاه سعد زغلول فجوده على يد الشيخ عبد الله عبد العظيم امام مسجد دسوق ليكمل حفظه للكتاب الله و هكذا فقد قدر لهذا الطفل الذي ولد في صميم البيئة المصرية التعلم القرآن و ان يتلقى تعليمه وفقا للأسلوب الذي كان سائد في عصره و وقتذاك ، و نعني به التعليم الديني الإسلامي الذي كان لا يختلف كثيرا او قليلا من قرية الى قرية او من مدينة لأخرى فمن كتاب حيث الفقه او العريف الذي غالبا ما يكون كفيف وينحصر دوره فحسب في القيام بتحفيظ الاطفال القرآن دون ما معرفة منه لما نسميه في وقتنا الحاضر بأي شكل من اشكال التربية الحديثة ، الى احد القراء في المساجد لتجويد القران و تعلم بعض أصول العلوم النقلية الإسلامية و التي توارثها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل ثم غالبا ما تنهي لدى القادرين او الراغبين في مواصلة التعليم التنقل الى جامع الأزهر المتواجد في القاهرة و هو ما قدر لسعد زغلول الانتقال من ابيانة الى القاهرة حيث يوجد جامع الأزهر ولقد شهدت الفترة التي سبقت التحاق سعد زغلول بجامع الأزهر عدة محاولات لإصلاح حالة التعليم في جامع الأزهر بالقاهرة في تواجد نخبة من المصلحين على غرار محمد عبده [5].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق** ، ص 21.

[2] سعد زغلول : **مصدر سابق** ، ص50 .

[3] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق** ، ص23.

[4] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول زعيم الثورة** ، ص10.

[5] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق** ، ص،24،25.

في سنة 1873 وفد سعد زغلول من دسوق الى القاهرة بالالتحاق بالأزهر و كان الأزهر في ذاك الحين ذو شهرة عظيمة في العالم الاسلامي ، يتوافد عليه الطلاب من جميع المجتمعات الاسلامية من بحر الصين الى المحيط الاطلنطي ، ولكن كان يعيب التعليم فيه انه قائما على تدريس العلوم القديمة ، و حفظها كما هي دون تغيير ، ولا يقوم على البحث حرية الفكر و التطوير و لكنه كان من ناحية اخرى يربي ملكة الاستقلال في النفوس التلاميذ ، حيث كان التلميذ هو الذي يختار استاذه الذي يتعلم عليه بمحض ارادته [1].

و حسبما يراه من علمه و كفاءته و كان من حسن حظ سعد زغلول ان فترة وجوده في الازهر تميزت بوجود المفكر الاسلامي السيد جمال الدين الافغاني الذي التف حوله كثير من طلبة الازهر من بينهم سعد زغلول ، و كان الاثر الذي تركه جمال الدين الافغاني في نفس سعد زغلول و شخصيته يفوق الاثر الذي تركته دراسته الأزهرية فقط مكنه من حرية التفكير و حرية البحث و التجديد و الاصلاح [2] يرجع الفضل الى المفكر جمال الدين الافغاني في تعليم و تلقين سعد زغلول اللغة العربية و تحسين لغته و كتسابها بشكل جيد فقد كان جمال الدين الافغاني يقوم بعدة اعمال يحث فيها تلاميذه على ان يكتبوا ما يسمعوه منه في المحاضرات بشكل كامل ، ثم يتلونه في اليوم التالي فكان ذلك تركهم لأن يتبارى التلاميذ و يتنافسوا في حسن الإنشاء و التحرير و من ثم أتجه سعد زغلول الى الخطابة و الكتابة و لقد تتلمذ سعد زغلول طالب في جامع الأزهر على يد الشيخ محمد عبده الذي كان يكبره بعشرة سنوات كاملة ، و بعد إبعاد جمال الدين الافغاني عن مصر في اوت 1879 كان في ذلك الوقت محمد عبده اكبر تلاميذه و كان يفوقه في العلم حيث كان يقوم باستمرار على العمل من غير ملل ، و كان فيلسوفا ، و لما حصل على شهادة العليا ابتدأ التدريس في الأزهر و يرجع إليه الفضل الاول في تدريس العلوم الفلسفية و المنطقية في جامع الأزهر ، حيث كان جامع الازهر محروما منها و لقد استفاد سعد زغلول من دراسته على يد محمد عبده حيث انه يقول " **ان الذي كان يحضروا دروسه في الازهر لا يسعه إلا ان يحتقر دروس سائر العلماء فيه** " و لم تكن علاقة سعد زغلول بأستاذه علاقة درس فحسب بل كانت من اقوى الصلات و العلاقات بين الشخصين يمكن ان يراها التلاميذ في الجامع بينهم [3].

---

[1] سعد زغلول : **مصدر سابق** ، ص51 .

[2] محمود عباس العقاد : **سعد زغلول زعيم الثورة** ، ص11.

[3] عبد الرحمان الرافعي :**مرجع سابق** ،ص 371.

كان سعد زغلول يخضع لتوجيه شيخه خضوعا كبير فكان يستفيد من علمه و عمله و من اخلاقه و شمائله من فصاحة الكلام و بلاغة و علم الخطابة ، فشب بين يديه كتابا خطيبا اديبا سياسيا و وطنيا و اسلاميا ، و نستطيع ان نستدل على علاقته به من الرسائل المتبادلة بينهما عندما نفى الشيخ محمد عبده الى بيروت في اعقاب الثورة العرابية حيث كتب سعد زغلول يقول له " مولاي ذكرت لحضرتك ان الضعف الم بفكري فبالله إلا ما قويته بتواصل المراسلة غير تارك منها ما وعدتنا على سماعه و النصائح و الحكم التي نهتدي بها الى سواء السبيل..." و يستهل سعد زغلول رسائله هذه بمولاي الافضل و بمولاي الاكمل و يوقعها ولدكم و صنيعكم [1].

استطاع بفضل ما اتيح له من قيادة سليمة واعية و ما وفرته اسرته من سعة عيش في القاهرة ان يتابع بكل ما وسعه الجهد قمة التفكير العلمي بل حتى السياسي الذي تجمع في القاهرة للظروف التي مرت بنا الى جانب عوامل كثيرة متشابكة سمحت له هذه الحركة العلمية و السياسية في صحف العصر التي شجع الافغاني على انشاء الكثير منها من اهمها مصر و المحروسة و البرهان و التجارة [2] هذه العلاقة الفريدة التي كانت بين سعد زغلول و محمد عبده وحينما اسند اليه تحرير جريدة الوقائع المصرية ضم محمد عبده الى جانبه سعد زغلول و كلفه بهيئة التحرير حيث طلب منه اعانته كان سعد بلغ من العمر عشرين سنة فبرز بطلاوة اسلوبه في الكتابة[3] .

لم يكمل سعد زغلول سن دراسته في الأزهر ليحصل على شهادته ، حينما طلب محمد عبده من تلميذه سعد زغلول ليعاونه في تحرير جريدة الوقائع المصرية تم له ذلك فعلا ابتدأ من الخامس من اكتوبر عام 1880 ، لا نستطيع ان نمر على خروج سعد من الازهر قبل انهاء دراسته دون ان نتحرى السبب في ذلك فربما يكون قد يئس من الازهر في ان يوفر له العلم الذي يريده او الظروف العلمية التي اتاحها له مجلس جمال الدين الافغاني ، او ربما لأنه اثر ان يستمر في رفقة والده و معلمه و مريده ، او لأنه اثر بالوظيفة الحكومية و نستطيع تصور مدى بريق هذه الوظيفة التي عرضت عليه في الوقت الذي عزت في مثل هذه الوظائف الحكومية او لان يشبع جهرا نزعاته و تطلعاته الاصلاحية التي تبدت له بعد ان يئس من اشباعها سرا ، او لأنه ذلك كله فقد هجر سعد زغلول الازهر و عين محررا بالجريدة الوقائع المصرية [4].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص28،29.

[2] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ص52.

[3] حسين فوزي النجار : **سعد زغلول الزعامة و الزعيم** ،القاهرة ، مطبعة الاطلس، (ب ت)،ص40.

[4] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص ص 29-30.

استمر سعد زغلول في هذه الوظيفة حتى الثالث من ماي 1886 طرق خلالها بعض من المواضيع السياسية و الادبية و الاجتماعية ، حيث تطورت الوقائع المصرية الى جريدة رسمية الى جريدة تخصص ابوابا للإرشاد الناس الى حسن التحرير و اصلاح الاخلاق و نقد الحكام و الاحكام و نشر الاعلانات كمصدر من مصادر تموينها و تنشر الاخبار الداخلية و الخارجية و ذلك منذ ان اشترى الخديوي اسماعيل المطبعة الاميرية من صاحبها عام 1865 ليجعل من الجريدة على حد قوله في امره للنظارة المالية و لكن عندما عين محمد عبده محرر للوقائع تغير تاريخها كله اصبحت جريدة رأي و فكر قبل ان تكون صحيفة حكومية تصدر قوانين و تسجل الحوادث و تنشرها فقط [1].

منذ ان عين سعد زغلول بالوقائع حمل لقب افندي و غير ما يتماشى مع هندامه مع هذا المقام فغير من ملابسه و تخلى عن لباسه الازهري مع اللقب الجديد الذي حمله ، يكون قد غير مجرى حياته و نعني حياته الفكرية و السياسية و الاجتماعية [2] .

ثم ما نلبث ان نفاجأ بصدور قرار جديد بنقل اخر من طرف السلطات سعد زغلول وتعينه في سبتمبر 1882 ناظرا لقلم القضايا بمدرية الجيزة و لكن هذا التغير في اللباس و الهندام و تغييره من اللباس الازهري المعتاد ان يلبسه في الجامع الأزهر و مزاولة الدراسة بهذا الزى الذي يعتبر الزى الاساسي و المتعارف عليه في الازهر لان الملبس الموحد في الازهر يكون فرض على طلبة الازهر و جميعهم يلبس هذا الزى الذي يعتبر احد رموز الازهر و تنازل سعد زغلول عن العمامة و الطربوش رمز الازهري يعتبر تنازل على قيمه و تعاليمه في التي تلقاها في الازهر و لكن هذا الطرح ينافيه محمد ابراهيم الجزيري حيث يذكر التغيير في اللقب و الملابس انه حدث بعد تعين سعد زغلول لمدرية الجيزة ، و نعتقد في تعينه في الوقائع المصرية لا يتطلب منه احداث كل هذا التغير من لباس و مظهر بدليل انه لم يحمل الشيخ محمد عبده على ترك زيه الازهري و حمل لقب افندي ! و ان هذا التغير قد حدث بعد ان تحول سعد زغلول الى موظف حكومي بتعيينه لنظارة الداخلية و ليس كما اسلفنا ، و بعد ان انتقل من العمل الصحفي الى العمل الحكومي [3] .

---

[1] سعد زغلول : **مصر سابق** ، ص55

[2] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص31

[3] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ص 56.

ثالثا :تكوينه السياسي :

ففي الوقت التي كانت حياة سعد زغلول تمر بهذه التغييرات ، كانت مصر في مرحلة من الغزو الاوربي لم يكن عسكريا و انما غزوا يقوم به الرأسماليون الاوروبيون و اصحاب البنوك الاوربية ، يستخدمون سلاح المال لسيطرة على مصر حيث كانت سياسة الخديوي اسماعيل هي التي اتاحت هذه الفرصة لغزو مصر بسبب استعجاله و نقل البلاد الى مصاف الدول الاوربية للإنشاءات الوطنية فأنشأ سكك الحديد و اعطى دفعة للحياة الاقتصادية و بسبب استكمال تكوين امبراطوريته لكثرة النفقات التي كان ينفقها لاحتياجات بلاطه من اجل الاستقلال الداخلي عن الدولة العثمانية[1] الامر الذي اغرق مصر في الديون[2] اربك مالية البلاد اضطره الى الاقتراض من الرأسماليين ، حين عجز على تسديد لجأ هؤلاء الى حكوماتهم لإجبار مصر على الدفع ، كانت هذه الحكومات في وضع السياسي الدولي يسمح لها بالتدخل بسبب الوصاية الدولية التي اتاحتها معاهدة لندن سنة 1840 ، فأجبرت مصر على تعيين وزيرين اوروبيين انجليزي و فرنسي في الحكومة المصرية و بتالي اصبحت مصر تحت الحكم المباشر للاستعمار الاوربي دون اطلاق رصاص ، تدخلت الطبقة البرجوازية في مصر لدفع الخطر فأخذت تعمل على انشاء بنك مصري لتخليص من قبضة الاجانب و في الوقت نفسه اصبحت تطالب بالدستور و الحياة النيابية ما كان للخديوي إلا التحالف معها [3].

لما عرفت الدول الاجنبية ان الحكم في مصر يوشك ان يخرج عن الخديوية و ان الانتقال الى يد الشعب المصري و على اثر هذا قامت الحكومة البريطانية بعزل الخديوي اسماعيل و تنصيب ابنه توفيق 1879 [4] .

حيث كانت الخزينة فارغة و الجيش معتل [5] مما اضطر القوى الوطنية بالاستعانة بالجيش بقيادة احمد عرابي سبتمبر 1882 ، الامر الذي جعل من فرنسا و انجلترا امر بتوجيه الاسطولين الى مياه الاسكندرية و بذلك اصبحت البلاد في خطر الاستعمار الاجنبي [6] .

---

[1] جلال يحيى : **تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر** ، الاسكندرية ، (ب ت)، ص320.

[2] محمد مورو : **كيفاح شعب مصر في عهد محمد علي** ، دار الغد ، 2007، ص 307.

[3] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ص57.

[4] صلاح منتصر : **من العرابي الى جمال عبد الناصر**، دار الشروق ، القاهرة ، 2003 ، ص14.

[5] عمر السكندري : **تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر** ، المد بولي ، القاهرة ، (ب ت)،ص 257.

[6] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول زعيم الثورة** ، ص19.

عاش سعد زغلول الاحداث عن كثف في ضل تطورها على ارض الواقع حيث اقنع محمد عبده و مصلحي الازهر بتخلي عن الحذر اتجاه حركة الجيش و انضمام الى المتطرفين حيث ظهر موقف سعد زغلول من الاحتلال ، الاقدام لمحاربته حيث كتب في جريد الوقائع المصرية مقالا بعنوان الاقدام في ذلك الحين رأت حكومة البارودي نقل سعد زغلول من محرر جريدة الى معاون بالوزارة الداخلية و لم يلبث حتى بزرت كفاءته في نقد الاحكام و ما يقابلها من الشريعة على اثر هذه الكفاءة دفعت بالحكومة الى نقله مرة اخرى في 6 سبتمبر الى وظيفة ناظرا لقلم مدرية الجيزة كما سبق ان ذكرنا ، لم تمضي خمسة ايام على تعينه في وظيفته الجديدة حتى كانت مدافع الاسطول الانجليزي تضرب الاسكندرية حينها وقف سعد زغلول ينادي بالجهاد الديني من اجل التخلص من الاحتلال البريطاني و كان ينقل الرسائل من محمد عبده الى العرابي في جبهة القتال وفي نقل القرارات التي اتخذها الوطنيون في القاهرة بعزل الخديوي توفيق الى العرابي في الجبهة و اخذ اثناء الحرب كتابة المقالات يحث فيها على الثورة و يدعو لتصدي لسلطة توفيق الذي انحاز للانجليز ضد وطنه و يهيج الافكار و كذلك يهيج انفس الشعب المصري على مقاومة السلطات البريطانية ، ولم يصرف سعد زغلول عن لعب هذا الدور الوطني خوف على وظيفته او رهبة بالتنكيل به بعد ثورة حيث كان من الطبيعي فصله من وظيفته الجديدة في 2 اكتوبر 1882 بعد ان رأت النظارة استصوب نقله حسب مقتضيات المصلحة و اصدر في حقه الحرمان المدني عقابا له للدور الذي كان يقوم به اثناء ثورة العرابي و تحريض في الصحف تهيج الانفس و الشعب و الغريب ان الدكتور عبد الخالق محمد لاشين يستدل بهذا الرفت اي نقل سعد زغلول حسب مقتضيات مصلحة الوزارة على انه كان بعيد عن احداث الثورة ! ، و ان ما ورد على لسان بعض الشهود ان سعد زغلول كان له الفضل في تهييج الافكار و التحريض على التصدي لسلطة توفيق ، وإذا كان الامر كما ذكر الدكتور عبد الخالق محمد لاشين ، فلماذا فصل سعد من وظيفته و اصدر في حقه حرمان المدني ؟ [1] بعد فصله من وظيفته افتتح مكتب للدعاوي مع شريكه حسين صقر حيث لم تكن المحاكم الاهلية قد انشئت بعد و لكن كانت توجد مجالس الاحكام و المجالس المحلية المركزية ، فعملا معا بالمحاماة امام هذه لمجالس حيث كانت تتم المرافعات عن طريق تقارير تكتب و تتبادل بين طرفي الخصوم ووكلائهم[2].

[1] سعد زغلول : **مصدر سابق** ،ص60.

[2] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص33.

لم تكن في مهنة المحاماة مهنة محترمة في نظر القضاء و المجتمع المصري نظرا لمزاولتها و العمل بها لم تكن تتطلب مؤهلا علميا و كان المجتمع ينظر اليها بنظرة الاحتيال و النصب ، و لم يتوقف سعد في هذه الفترة على الاتصال مع اصدقائه المنفيين خارج الوطن فكان يراسلهم و يراسلونه [1] و استمر سعد و حسين صقر في الاشتغال حتى جوان 1883 حين تم القبض عليهما بتهمة الاشتراك في المؤامرة الوطنية المسماة " بجمعية الانتقام" [2] .

قضى في السجن مائة يوم ثم اطلق سراحه ليستأنف عمله في فيفري 1884 اصاب سعد زغلول شهرة كبيرة في المحاماة خاصة بعد موت شريكه صقر حيث بقي سعد متصلا بالشئون العامة و العمل الصحفي ، وفي ذلك الوقت كان المشتغلون بسياسة البلد قليلين العدد لم يكن يحتمل تأليف احزاب سياسية إلا انه كان منتدى الادبي يسمى صالون الاميرة نازلي فاضل[3] الموالية للانجليز و ليس من الغريب ان نرى توافد سعد زغلول لهذا المنتدى لسبق معلمه محمد عبده اليه بعد رجوعه من المنفى و دور الامير فضل لسماح الخديوي على محمد عبده ، حيث تمكن سعد من تولي وظيفة نائب قاض سنة 1892 [4] .

قبل سعد زغلول هذه الوظيفة رغم قلة مرتبها بالقياس بربحه من مهنته السابقة كمحام الذي كان يصل راتبه فيها الى ستة ألاف جنيه سنويا ، و كان السبب الذي دعا سعد زغلول الى قبول هذه الوظيفة و ذلك لوجود ما فيها من شرف و مقام حيث لم يسبق لسعد زغلول ان عين قاضيا بالمحاكم الابتدائية و كذلك يرى في هذه الوظيفة الجديدة رد اعتبار لسعد زغلول بعد ان كان ممنوعا عليه تولي الوظائف عقب الحكم الذي صدر عليه بالحرمان المدني اثر اتهامه و دخوله السجن حيث كان هذا التعيين تشريفا لمهنة المحاماة التي كان سعد زغلول اول فرد فيها تسند اليه وظيفة القضاء [5].

---

[1] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ،ص61.

[2] جمعية الانتقام : بعد الاحتلال البريطاني لمصر قام الشباب المصري بإنشاء هذه الجمعية السرية لمقاومة الاحتلال تقوم بإرسال خطابات تهديدية للخديوي و كذلك القناصل و امراء الاجانب ظهرت هذه الجمعية اثناء الثورة العرابية انظرا الى : **احمد مولانا ،جذور العداء العلاقات الخفية بين امن الدولة و الاحتلال الانجليزي**، اصدارات الجبهة السلفية ، الفاهرة،2013، ص22-23.

[3] الاميرة نازلي فاضل : **الأميرة نازلي فاضل** هي نازلي بنت .(1914 – 1853) اميرة من الاسرة العلوية تميزت بصالونها الثقافي الذي كان يضم العديد من المثقفين والكتاب . كما تعتبر اول أمرأة مصرية تتشبه بالاجانب. حيث كانت تختلط بالرجال علي غير العادة وكانت لا ترتدي الحجاب الذي كان الزي المتبع في هذه الفترة. انظر الى : **سعد زغلول، مصدر سابق** ،ص123.

[4] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص33.

[5] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ،ص66.

التحق سعد زغلول بجامعة باريس و تحصل على الليسانس في الحقوق سنة 1897 ، ثم تزوج سعد زغلول ببنت رئيس النظار ليستكمل جميع مؤهلات اللازمة لكسر الحاجز الاجتماعي الذي كان يحول بينه و بين الطبقة الارستقراطية في مصر ، فلقد لبث في سلك القضاء اربعة عشرة سنة حيث اتبع سياسة مزدوجة بعدما شاهد فشل الثورة العرابية ، كما اثر صالون الاميرة فاضل على شخصية سعد خاصة في جانب تفكيره و نعني صميم تفكيره الاسلامي الذي استمده من دراسته الازهرية ، و بذلك يكون هذا الصالون ترك اثرا بعيد في خلق مدرسة فكرية سياسية تزعمها محمد عبده و عقد عليها الانجليز املا كبيرا في احداث التغير المنشود في مصر دون ان يزعزعوا اركان الدين الاسلامي او يتركوا الشعائر الاسلامية ، في حين ابتعد سعد زغلول عن الاشتراك في كل الاحزاب التي ظهرت في مصر في الفترة التي سبق تعيينه ناظرا ومهما يكن من امر هذه الاحزاب التي كانت على اي حال دليلا على تنبيه المصريين و صحوتهم لكن كان موقف سعد منها خاصة موقفه من الحزب الوطني و قياداته على غرار مصطفى كمال فقد كان يرى فيه سعد زغلول رجل من ذوي الافكار المتعصبين من الامة ، فقد استفادة سعد زغلول من الاحداث السياسية التي عاصرها بحيث عندما استدعى للنظارة كان قد استكمل كل مكونات السياسي المحترف ان لم يكن قد اصبح بالفعل سياسيا من الطراز الاول بالإضافة لما حظى به من ذكاء و دهاء لازمتان للعمل السياسي و كذلك استفادته من تربيته القضائية[1] و كذلك ممارسته الوطنية من موقعه الخاص خاصة بعدما انشا الاحتلال جريدة المقطم ناطقة باسمه في حين كانت البلاد خالية من اي جريدة وطنية تنطق بلسان القوى الوطنية حينما قرر الشيخ على يوسف سنة 1889 اصدار جريدة المؤيد التي وقف سعد زغلول الى جانبها كان هذا الموقف يبرهن على وطنية سعد زغلول بطرق شتى لمساندته لجريدة المؤيد [2] فبعد استقالته من نظارة الحقانية سنحت له الفرصة في العمل على انشاء الجمعية الشريعية خاصة بعد ان قام برشح نفسه لانتخاباتها و احس ببوادر نجاحه في الانتخابات من خلال نتائج الدرجة الاولى و ما اسفرت عنه الحملة الصحفية التي قامت بها كل من جريدتي المقطم و الشعب مكنه الفوز بالانتخابات في اكثر من دائرة انتخابية و كما مكنه من الحصول على وكالة الجمعية التشريعية [3] .

[1] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص 98 ،99.

[2] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ،ص 70،71.

[3] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص 101،102.

الفصل الاول : سعد زغلول مابين 1882-1914

اولا :سعد زغلول وزيرا للمعارف

ثانيا :سعد زغلول وزيرا للحقانية

ثالث : سعد زغلول و الجمعية التشريعية

اولا : سعد زغلول وزيرا للمعارف

لا بد ان نتعرف على احوال المعارف بمصر قبل ولاية سعد زغلول لها ، و ينبغي ان نتعرف بأن الاحتلال البريطاني لمصر لم ينجح في شيء قدر نجاحه في سياسة التعليمية التي اتبعها من بداية عهده ، فقد نشب عنه الاختفاء الكامل لما تبقى من مشروعات محمد على التعليمية ، حيث لم ينشأ في ظل الاحتلال اية مدرسة بل لقد اغلق عدة معاهد كانت مزدهرة مثل مدرسة الطب البيطري و مدرسة الزراعة و مدرسة الاثار و كذلك مدرسة الحرس و مكفوفي البصر و سن التعليم باللغة الانجليزية و الفرنسية حيث صارت اللغة العربية هي اللغة الاجنبية بالمدارس المصرية ، وبهذه السياسة اصبحت المعارف مصلحة تابعة للإشغال العمومية يشرف عليها ناظر واحد و اكثر من ذلك فان التعليم المجاني قد الغي في كل المدارس و ارتفعت نسبة ما يدفعه الطلاب من مصروفات في جملة ميزانية نظارة المعارف عامي 1900 ، 1902 يضاف الى ذلك ايضا انه ما وقع الاتفاق الودي بين فرنسا و انجليز عام 1903 و خفت المنافسة بين اللغتين الانجليزية و الفرنسية كوسيط للتعليم المصري بديلا للعربية حتى كانت الانجليزية في عام 1902 هي لغة الوحيدة للتعليم في الابتدائية بنسبة مئة بالمائة و تنقص بقليل في الطورين الثانوي و العالي و كذلك احلال العنصر الغربي في التعليم و التدريس و تعد الى تغيير مناهج التدريس المقررة التي لم تكن لتمد الطالب بعلم وفير او تربية قومية و انما كانت تكفل اعداد موظفين في الحكومة و يمكننا نقتفي الاثر في تحريم تدريس التاريخ المصري و العربي في الابتدائية و هكذا لم يكن عدد المدارس سنة 1902 في مصر يتجاوز اربعة مدارس و كذا معهد في الوقت الذي بلغ عدد السكان احد عشر مليونا تقريبا [1] حيث عمل الاحتلال على سياسة الغاء مجانية التعليم و كذلك فرض اللغات الاجنبية و ذلك لإماتة اللغة العربية و خنق الروح الوطنية و اضعاف الحركة الوطنية حيث كانت حجة الاحتلال عدم وجود كتب حديثة باللغة العربية و ان الترجمات مهما وصلت من دقة الاتقان لن تصل الى تطابق الاصل تماما و كذا فقر اللغة العربية من المصطلحات و الرموز العلمية و جمود تراكيبها يجعل من اللغة العربية اداة غير صالحة للتعليم الحديث خاصة في الابتدائية و كذلك في اختصاص الطب و الزراعة و الهندسة و لهذا تحول التعليم من اللغة العربية الى اللغة الاجنبية سواء الانجليزية او الفرنسية [2] .

[1] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص105-106.

[2] سعد زغلول : **مصدر سابق** ،ص87-88.

تستهوي تناقضات البعض الى ارجاع هذا النقص الى طبيعة فكر المجتمع المصري حينذاك و عدم التحاقهم بالمدارس و ليست سياسة الاحتلال الانجليزي [1].

كان اللورد كرومر[2] يعرف سعد زغلول جيدا خاصة بعدما كان سعد زغلول يتوافد على نادي الادب للأميرة نازلي فاضل و يسمع عنه الكثير من امام محمد عبده و يعلم ما اشتهر به في القضاء من الجد و النزاهة و حسن الدراية ، و يتبين فيه تلك الصفات التي جعلته يقول عنه " ان هذا الرجل قدير شجاع في عقيدته و قد على كيف احترامه " كلمة كبيرة من عميد بريطاني حينما ورد لورد كرومر الى مصر اثر حادثة دنشواي[3] بسياسة الهوادة و التسامح مع الحركة الوطنية المصرية عين كرومر سعد زغلول وزيرا للمعارف العمومية و اعلن هذا في الثامن و العشرين من اكتوبر سنة 1906 [4] ابتدأ لورد كرومر سياسته الجديدة بتعين رجل مصري معروف بميوله الوطنية كسعد زغلول على نظارة المعارف التي سلخها من نظارة الاشغال العمومية و اصبحت بذلك نظارة مستقلة بذاتها حتى يمكنها ان تستجيب لمطالب المصريين و تخدم المصالح البريطانية حيث كتب سعد زغلول في مذكراته عقب تعيينه ناظرا على وزارة المعارف بمناسبة خلاف نشأ مع مستشار النظارة " لم بلغ كرومر احتد و قال ان المستشار لم تكن له سلطة ظاهرة و لكنه يجب ان يكون في حقيقة ذا سلطة و ان ما يحرره في مكتبه من الامور الخاصة بالانجليزي ان يأخذ قضية مسلمة "[5] .

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص106.

[2] لورد كرومر : ايفيلين بيرنج من اسرة المانيا حصلت على الجنسية الانجليزية من اكثر مائتين عام كان جده فرانسيس في عصره شخصية كبيرة في الشؤون المالية و كان مرجعا في شؤون النقد حيث كان مدير لشركة الهند الشرقية وصل احد احفاده الى نائب ملك في الهند ولد ايفيلين بيرنج في 26 من فيفري من سنة 1841م و بعد دراسته الابتدائية دخل في سن الثالث عشر الى المدرسة الحربية تخرج منها برتبة ملازم ثم دخل مدرسة الاركان و بعدها سافر الى الهند مع لورد نورثبرو حيث اصبح دبلوماسي بعده عاد الى لندن بنهاية حكم الملك في الهند ارسلته حكومة البريطانية كمندوب بريطاني في لجنة الدين المصري انظر الى : عباس حلمي الثاني : **مذكرات عباس حلمي خديو مصر الاخير**، تر:جلال يحي،مر اسحق عبيد،تق احمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 201.

[3] حادثة دنشواي :وقعت حادثة الدنشواي يوم 13 من يوليو ممن عام 1906 م حينما ذهب بعض جنود بريطانيين حمام في قرية المنوفة فأطلقوا الرصاص و اصابوا سيدة فحاول الفلاحون انتزاع البنادق منهم و ضربوهم ففر جنود البريطانيين هاربين حيث مات احد الجنود بضربة شمس اثر سيره الطويل بعيد من القرية فرجع البريطانيين فقتلوا كثير من الفلاحين في القرية كانت هذه الحادثة لها اثر كبير في المجتمع المصري انظر الى : محسن محمد ، **سعد زغلول مولد الثورة بالوثائق البريطانية الامريكية** ، ص 21.

[4] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص98.

[5] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص108.

على اية حال ترك لورد كرومر سعد زغلول يعمل في منصبه الجديد ، لإنقاذ التعليم المصرية في نظره و لكن مع وجود مستشار انجليزي يتمتع بثقة اللورد كرومر الكبيرة و له ان يعرقل اي مشروع يقوم به سعد زغلول غير صالح و مصالح السلطة البريطانية و ما على المستشار البريطاني إلا عرقلتها بشكل او بأخر ما لم تكن من تدبيره الخاص [1].

كان قصد اللورد كرومر من تعين سعد زغلول ان يواجه كل المصاعب التعليمية الناشئة من ناحية و من ناحية اخرى محاولة استرضاء الرأي العام الذي اصبح يضج بالشكاوى من سياسة الاحتلال التعليمية [2].

تلقت الامة المصرية هذا التعين على هذا الاعتبار و فهمت انها ابتدأ خطة جديدة في سياسة الاحتلال البريطاني فيما معنى العدول عن التجربة الماضية و استبدالها بالترضية و الاعتذار فقالت جريدة المؤيد في يوم تعين سعد زغلول على نظارة المعارف " **مضت احدى عشرة سنة و بضعة شهور على الوزارة المصرية و هي على نفس الحال و كادت الامة تنسى ان لها وزارة من كبار رجالها و هذه الحركة تبعث في النفس املا جديدا يعيد للنظارة شيئا من سلطتهم بعد حوادث التي جرت و اساء للمصريين** " [3].

كان موقف سعد زغلول من قضية تعريب التعليم في المدارس المصرية محل نقد دكتور محمد عبد الخالق حينما اورد في كتابه ان سياسة الاحتلال كانت تقوم على التعليم باللغة الانجليزية و انه ما ان وقع الاتفاق الودي بين انجلترا و فرنسا عام 1904 حتى كانت الانجليزية في 1906 اللغة الوحيدة للتعليم في الابتدائية بنسبة مئة بالمائة و كذلك في باقي الاطوار بنسب متفاوتة و قد استطاع سعد زغلول في نظارة المعارف تعريب التعليم في المدارس الابتدائية و بعض المواد التعليم الثانوي عندما تولى النظارة و لكن رأينا الدكتور محمد عبد الخالق يتهم سعد زغلول بأنه في هذا التعريب انما يمتثل للسياسة البريطانية و خضوعه لسياسة البريطانية و نسى ان هذه السياسة البريطانية لم تتغير إلا بجهود سعد زغلول على رئس النظارة الذي كتب في مذكراته في 10 مايو 1909 " **يجب ان يكون غاية عملي جعل التعليم اهليا ، اي باللغة العربية في المدارس المختلفة** " [4].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق ، **مرجع سابق**،ص108-109.

[2] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**،ص47.

[3] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص 98-99.

[4] محمد لاشين عبد الخالق، **مرجع سابق**، ص110

الاكثر من ذلك اتهامه لسعد زغلول ضد سياسة التعريب مجاراة منه لاتهامات الحزب الوطني و كان هذا الاتهام اعتماد على تصريح سعد زغلول في الجمعية العمومية حينما رد على طلب جعل التعليم في المدارس باللغة العربية ، فقد ورد في ذلك التصريح " **اذا فرضنا انه يمكننا ان نجعل التعليم من الان باللغة العربية و تركنا و شرعنا فيه فعلا فأننا نكون قد اسأنا الى بلادنا و الى انفسنا اساءة كبى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو ان يوظفون في الجمارك و الماكم المختلطة و المصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة** " فهذا التصريح يمكن فهمه اذا عرفنا ان الانتقال الفوري من التعليم باللغة الانجليزية الى العربية – و هو ما عبر عنه سعد زغلول بعبارة : ان نجعل التعليم "**من الآن باللغة العربية – كان امرا مستحيلا** " [1].

اذ كان يقتضي التغير الفوري في الادارة المصرية ، عن طريق تمصيرها و سيادة العربية فيها كان يتطلب امكانيات تعليمية من المتعذر توفيرها بشكل فوري و انما الامر طبيعي ان يتم التغريب بطريقة تدريجية و ليست عن طريق الانتقال الفجائي [2] زار سعد زغلول مدرسة اسوان فما هو إلا ان سرى الى المدرسة خبر قدومه حتى تأهب الناظر و المدرسون و الفراشون غاية الهبة و نشطوا لاستكمال كل نقص و استبعاد كل نقد ، و ملاحظة كل ما يخافون ان يلاحظه المستشار المرهوب فما تركوا زاوية في المدرسة ولا في الحديقة إلا تعقبوها يوما بعد يوم بالتنظيف و التنظيم ثم وصل المستشار سعد زغلول فزار الفصول في خلال الدروس و سمع للأساتذة و التلاميذ و ابدى ملاحظاته و تعليماته في الزيارة الاولى حيث لاحظ موطئ القدم على مكتب احد التلاميذ يعلوه غبار خفيف لمسه المستشار بأصبعه فعلقت به مزحة منه و في زيارة الثانية لاحظ ان الخيط الذي يمسك الخرائط الجغرافية لي يمنعها ان تنحرف بعض الانحراف ... و كان الوقت شتاء و الهواء يتخلل الغرف و لا بد ان يتخللها و الالحاق بالمدرسة الضرر و كذلك طلبتها [3] ذهب سعد لزيارة المدارس الاخرى و اثناء زيارته لأحد كتاتيب اعجب بذكاء احد تلاميذ فأمر بنقله الى السنة الاولى بمدرسة الابتدائية الحكومية على ان يكون تعليمه بالمجان و تنفذ ذلك اثناء الزيارة و لكنه عندما عاد الى القاهرة و قع بذلك امام المستشار البريطاني في حرج حيث ابلغ المستشار البريطاني الذي عينه اللورد كرومر بما حدث فغضب اللود كرومر على سعد زغلول [4].

---

[1] سعد زغلول : **مصدر سابق**، 102–103.

[2] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**،ص48 .

[3] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص107.

[4] سعد زغلول : **مصدر سابق**، 103

غضب منه و امره بإرجاع الولد و ان لا يعود الى مثل هذه التصرفات، و يكتب سعد زغلول في مذكراته اي بعد عامين و نصف العام من اشتغاله بالنظارة حيث تكلما على الاجر الذي يأخذ العمال و الذي وصف بعدم التساوي و ذلك حسب الاجر الذي يأخذونه و هذه هي حالة المدرسين المصريين قبل و اثناء نظارة سعدا لها و عليه فقد نفذت السياسة البريطانية كل مخططاتها تقريبا بالنسبة للتعليم اثناء تواجد سعد و كذلك استحسان جزء من المصريين ممن يرون ان مطالبهم قد تحققت او على الاقل في طريقها للتحقق حينما قام ببعض الاعمال التي يرى فيها اصلاحية منها على سبيل المثال انشاء مدرسة القضاء الشرعية بهدف تخريج منها رجال يتولون امور القضاء الشرعي و يجمعون بين المعارف الفقهية و العلوم العصرية و يحافظون على الاداب الاسلامية [1].

حدث ان سيدة انجليزية كانت ناظرة لمدرسة البنات ، خطر لها ان تتحدى هذا الوزير المصري الذي يأبى ان يلزم حدوده فأصرت على فصل تلميذة لم تستحق الفصل ، فلم أمر الوزير سعد زغلول اعادتها الى المدرسة رفضتها الناظرة و حرمتها من الدراسة و الدخول الى الفصول مع التلميذات حيث امرت الناظرة بحجز التلميذة في غرفة قريبة من باب المدرسة ، و اتصل الامر خبرها الى الصحف المصرية حيث علقت عليه بالنفوذ الوهمي للنظارة المعارف شرحت فيه المعاملة التي تقوم بها الناظرة ، حيث دعا الصحيفة الوزير سعد زغلول التوجه الى المدرسة و يرى بنفسه ، فما كان لسعد زغلول الا ان يتوجه صباحا الى المدرسة و يرى حال التلاميذ و كيفية المعاملة التي يتلقونها من الناظرة الانجليزية ، شاهد سعد زغلول هذا فأمر بوقف الناظرة و احالتها الى مجلس التأديب ، و ادخل التلميذة في الحال الى الفصل مع سائر التلميذات [2].

كما ان سعد زغلول قد حقق الكثير من المطالب الشعبية في منصبه وزيرا للمعارف تتمثل في تخفيض اجور التعليم بالمدارس و جعل الامتحان مرتين في العام ، و تحويل التدريس في المدارس الى اللغة العربية على غرار ما شهدناه من معاناة اثناء السياسة البريطانية في التعليم في المدارس الابتدائية باللغة الانجليزية و كذلك باللغة الفرنسية بدرجة اقل و بهذا يرى المصرين في سعد زغلول و سياسته في التعليم خاصة نوع من استرجاع سيادة الوزارة اثر سياسة التي كانت من طرف الاحتلال الانجليزي على التعليم [3] .

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق ،**مرجع سابق**، ص ص 123-137.

[2] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص111.

[3] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق**، 140.

أقام سعد زغلول في وزارة المعارف اربعة سنوات عمل فيها كل ما في الطاقة لعمله في ضل المعارك الدائمة مع مستشار الانجليزي حيث قام بالإكثار من مكاتب في القرى الصغيرة و تولى بنفسه الحرص عليها و توسيعها و تشجيع الفقهاء و المعلمين على خدمتها ، رفع الاعانة المخصصة لها اكثر من ضعفها اي ثلاثة اضعاف ، و زاد تدشين عدد المدارس و لم يسمع برجل له كفاءة يسمح لهذا النوع من التعليم و له همة في نشر هذه المكاتب إلا و قربه منه حتى و ان كان في وزارة اخرى حيث نقل التعليم من الانجليزية الى العربية [1].

نظر الى موظفي الديوان كما نظر الى المدارس ، فأوسع للمصريين صدور الوظائف في التفتيش و الادارة و اختار منهم وكلاء للمدارس الثانوية تمهيدا لترقيتهم الى النظارة ، فتح ابوابه للطلاب و الموظفين اقفل المدارس للاحتفال في رأس السنة الهجرية و افاد التربية بالخطط و الاعمال و لا شك ان اتصاله بالرأي العام كان اول اعتراف بسلطة الامة و حق الرأي العام في الرقابة على الحكومة و ان خطوته هذه بمثابة اخلاء الوظائف الكبيرة كانت بداية استقلال الموظف المصري في جميع الوزارات [2] .

كانت تلك السنوات التي قضاها سعد زغلول وزيرا للمعارف بداية النهضة الكبرى للتعليم في المدارس المصرية ، لم تكن سياسة سعد زغلول موقع رضاء الانجليز و لا مستشار البريطاني في مصر و ان لم يسفروا عن موقفهم منها و لكن ظهر ذلك في عدة مشاكل مع المستشار البريطاني فيما يخص قرارات سعد زغلول و نصبه له مكائد من اجل الاطاحة به ، فما ان ترك سعد زغلول الوزارة حيث ذهب يصطاف حتى عاد المستشار الانجليزي الى طغيانه فقام بتعديل المادة 88 و كذلك المادة 100 من قانون المدارس في مصر بفرض عقوبات كبيرة على تلاميذ المدارس وصلت بفصل كل تلميذ يتحصل على اقل من 20 درجة ، سلوك اتخذه لخنق شعور التلاميذ بعدم الحرية كما طالب بمنع المؤلفات و الرسائل و المطبوعات فلم يكن ثمة ود بين سعد زغلول و المستشار البريطاني و كذلك مع الخديو منذ الثورة العرابية ، و لم يكن يرى في تأييد الخديو عباس حلمي الثاني للحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل الا رغبة في استعادة ما كان للخديوية من سلطان قبل الاحتلال البريطاني [3].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق، ص** 142.

[2] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص ص117-123.

[3] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق** ، ص51.

ثانيا : سعد زغلول وزيرا للحقانية

نقل سعد زغلول من نظارة المعارف الى نظارة الحقانية في خطوة التشكيل الوزاري الجديد الذي اصبح فيه محمد سعيد رئيسا للنظارة [1] في اوائل من سنة 1910 عقب اغتيال بطرس غالي الرئيس السابق للنظارة ، و لم يدع سعد زغلول مع انه اقدم عهدا بالمنصب الوزاري من محمد سعيد لأنه لم يكن من اصحاب الخطوة عند الامير و لا عند العميد و انما يحتملان بقاءه في الحكم لأنه اهون الأضرار و كانت وزارة الحقانية من نصيب سعد في الوزارة الجديدة حيث كان اختياره لها ظاهر الترقية و الترضية لأنها احدى الوزارات الدرجة الاولى : و هي وزارة الداخلية و وزارة المالية و وزارة الحقانية [2] و مع ذلك كانت الصدامات سعد زغلول مع سلطات الاحتلال في نظارة الحقانية لم تكن تقل اهمية عنها في نظارته للمعارف و يتضح من موقفه من القوانين الاستثنائية الجديدة التي أراد المعتمد البريطاني جورست [3] استحداثها بعد مقتل بطرس غالي[4] و كانت تتضمن تعديل جملة من المواد من قانون العقوبات و تحقيق الجنايات و منها : تعديل المواد المختصة بمعاقبة التعدي على الخديوي و جعلها جناية لا جنحة ، ووضع نص جديد لمعاقبة من يتعدى بالطعن او بالشتم على الاحتلال ، و نص الثالث يعاقب على مشروع في الجنح كما في الجنايات ، ثم نص الرابع يعاقب من يكتب كتابة في قضية مرفوعة للقضاء ، او تكاد ترفع اليه بقصد تأثير في القضاة ، كما تضمنت نصوص اخرى بالاتفاقات الجنائية و مسؤولية أرباب الصحف و تهديد و جعل محاكمة الصحف من اختصاص محاكم الجنايات فقد اعترض سعد زغلول على النصوص الثلاثة الاولى فلم تصدر كما اعترض سعيد باشا على النص الرابع [5] .

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، 145.

[2] عباس محمود العقاد ، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص 124.

[3] إ لدون جورست : ولد في 25 يونيو 1861 في اوكلاند نيوزيلندا التحق بالادارة الدبلوماسية سنة 1885 ثم بالوكالة البريطانية 1886 و في نوفمبر 1890عين مراقب الإردات المباشرة في مصر و في 1892 أخذ مكان منلر كوكيل لنظارة المالية انظر الى: **مذكرات عباس حلمي خديو مصر، مرجع سابق** ،ص219.

[4] بطرس غالي : 1847–1910 اكبر انجال المرحوم بك نيروز ، عمل في كدرسة ابتدائية كمعلم ثم اصبح ناضرا لها ، ثم وزيرا للحكومة انظر الى : زكري فهمي : **صفوة العصر في تاريخ و رسوم مشاهير رجال مصر** ، مؤسسة الهنداوي، القاهرة ،2013،ص605.

[5] سعد زغلول : **مصدر سابق** ، 124.

قبل سعد زغلول التعديل الذي يقضي بإحالة الجنايات او الجنح التي تقضي بواسطة الصحف او غيرها من المنشورات و طرق النشر الى المحاكم الجنايات ، بعد ان كانت من اختصاص محاكم الجنح ، و كان من رأي سعد زغلول الذي عبر عنه امام مجلس شورى القوانين ان هذا التعديل اختصاص ، و ليس تقييد حرية ، و انه تعديل الى الافضل و على حد قوله " **القاضي الذي ينظر لان في قضايا الصحف قابل للعزل** ..." و ليس معنى هذا الكلام تجاهل الرأي الاخر الذي برز في مناقشات مجلس شورى القوانين ، و هو ان محاكمة الصحفي امام محاكمتين خير من محاكمة واحدة و لكن معناه ان سعد زغلول قد وافق على هذا التعديل بناء على قناعة شخصية و ليست على ضغط من سلطة الاحتلال او ايحاء كما تهمه الدكتور عبد الخالق محمد و لم يكن سعد زغلول وحده في هذا الرأي فقد ايده ثمانية اعضاء لجنة مجلس شورى القوانين التي شكلها بنظر مشروع القانون ، ثم تغلب الرأي المعارضة له و رفض المشروع بالأغلبية لكن سلطة الاحتلال اصرت على تمريره لان الانصياع رفض مجلس شورى القوانين لقانون من شأنه ان يشجع على مزيد من الرفض و المعارضة ، على كل حال يوضح هذا مصدر الخطر الواقع على حرية الصحافة كان يتمثل في قانون المطبوعات و ليس في قانون احالة الصحفيين الى المحاكم الجنائية ، و قد كانت لجنة مجلس شورى القوانين التي قبلت مشروع القانون الاخير واعية الى هذه الحقيقة ، حين اقترنت موافقتها على المشروع بطلبها " الغاء قانون المطبوعات الحالي ، و الاكتفاء بنصوص قانون العقوبات العام [1] و على ذلك ففي السادس عشر من جوان عام 1910 صدرت هذه القوانين الاستثنائية الجديدة و الخاصة بالجنايات و الجنح التي تم بواسطة الصحف او غيرها و الذي عد ارهابا للصحفيين من ناحية و حرمانا لهم من احدى درجات التقاضي من ناحية اخرى و قد وضعت هذه القوانين الجديدة في الوقت الذي كانت تطالب فيه الامة خلال الجمعية العمومية العامة بإلغاء قانون المطبوعات و كذلك جعل النظر في القضايا الجنائية من اختصاص المحاكم الابتدائية ثم الاستئنافية و بذلك تكون هذه القوانين قد وضعت ضد ارادة الامة بل الاكبر من هذا انه عندما رفض مجلس شورى القوانين الاقرار على هذه بطلب تعديل بعضها امام دفاع ناظر الحقانية لم تأخذ الحكومة برأيه او تعديلاته[2].

[1] سعد زغلول : **مصدر سابق** ، ص 125 –126.

[2] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص 147 ،148.

من القوانين الهامة التي صدرت اثناء نظارة سعد زغلول للحقانية و لعب هو دورا بارزا فيها بحيث كانت سببا رئيسيا في تمزيق الخيوط الرفيعة التي كانت تربطه بالخديوي في تلك الفترة القانون رقم 5 الخاص بتشكيل مجلس حسبي ، و قد ورد في مذكرة نظارة الحقانية التي عرضها على مجلس النظار حقيقة ان احوال المجالس الحسبية كانت سيئة الامر الذي سمح لذوى الاغراض الشخصية باستغلال هذا الوضع كما دعا الجمعية العمومية الى ان تقترح بجلسة خامس من فيفري 1910 اصلاح احوالها و ليت الامر وقف عند سن القوانين الاستثنائية و تطبيقها بل الامر تعد الى اكبر من ذلك الامر اصبح يتعلق بسعد زغلول و عمله في نظارة الحقانية ، و منها رفض النظارة زيادة القضاة المحاكم الاهلية بحجة انه من الصعب مما كان توفر الاسباب المبررة لطلب الزيادة ، في الوقت الذي بلغت فيه الايرادات النظارة مبالغ و ارقام كبيرة الناجمة عن الرسوم التي يدفعها المتقاضون التي تتراكم قضاياهم امام المحاكم عاما بعد عام و كان الاجدر بالنظارة ان تصرف على انجاز قضاياهم ما يدفعون عنها من الرسوم و اذا كان هناك من اثر حسن للقوانين التي اصدرت خلال تولي سعد زغلول ناظرا للحقانية و فترة اشتغاله بها يعود الى القانون رقم 9 مكرر الصادر في خامس من ماي عام 1910 و الخاص بأشغال تنظيم مهنة المحاماة امام المحاكم الاهلية الذي جاء مكملا و معدلا للأمر العالي و كذلك الامر الصادر الذي يقتضى بترتيب درجات القضاة الشرعيين و كيفية ترقيتهم[1] .

شغل سعد زغلول نفسه بإنصاف اخر يدخل في عمله و اعمال وزارة الحقانية و هو انصاف كل مظلوم الحق و من القضايا التي واجهها سعد زغلول قضية اميرة مصرية تزوجت من روسي مسيحي فصر الامر من الخديوي ان يمحو اسمها من الاسرة و احالة ملكها الى القيم يدبره و يقدم حسابه الى وزارة الحقانية ، حيث قام سعد زغلول بإنصاف الاميرة المظلومة في مالها ، كانت هذه القضية ليست الاولى ينصف فيها مظلوم في وزارة حقانية سعد زغلول بل توجد كثير من القضايا وقف فيها سعدا مدافعا على كل مظلوم و غار فيها على الضعفاء و كأنه على نفسه و عائلته [2] .

ان موقفه من قانون المطبوعات وصل حد التهديد بالاستقالة من وزارة الحقانية ، لم يكن من اليسير قبول استقالته لما تضيفه من شعبية فوق ما احرزه من شعبية في وزارة المعارف [3].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص ص 151-155.

[2] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص 129.

[3] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص 51.

كتب سعد زغلول استقالته ، ثم ارسلها مع اخيه احمد فتحي الى مستشار نظارة الحقانية الانجليزي بعد الخلاف الذي وقع بينه و بين مستشار الانجليزي حيث ذكر فيها " **انه لعدم توفيقي لنوال رضاكم اصبحت عاجزا عن القيام بواجبات وظيفتي و لذلك تحكم علي ان اطلب من سيادتكم استعفائي من وظيفتي فارجوا قبولها**" ثم ارفقها بكتابة رسالة اخرى لكي يعرضها على الخديوي و كان ذلك في ساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الاحد [1] و كانت هذه الاستقالة في مارس من سنة 1912 [2] ثم ما يلبث سعد زغلول حتى ان قابل رئيس تحرير جريدة العلم لسان حال الحزب الوطني، و يصرح له بأنه لم يعرض استقالته على كتشنر ليأخذ رأيه فيها و انما الامر الذي عجل من كتابة استقالته هي احدى القضايا بالضبط قضية محمد فريد[3] بعد استقالته من على نظارة الحقانية و بهذه تنتهي مرحلة التناقض و الريب الذي كان يمليه انتماؤه الوطني المعارض للاحتلال الانجليزي من جهة و انتماؤه لوزارة الحقانية التي تعمل تحت اشراف الاحتلال الانجليزي الذي يعتبره عدو لبلاده من جهة اخرى [4] خرج سعد زغلول من نظارة الحقانية مطرود او شبه مطرود لأنه لم تعد الحاجة الماسة في نظر الاحتلال الانجليزي اليه حيث كانت سياسة الانجليزية الجديدة التي اتخذتها في مصر استنفذت كل مخططاتها و سياستها القديمة من وجوده سواء في نظارة المعارف او الحقانية اي انها نفذت كل اغراضها اثناء تواجده في النظارتين و من اهمها كبت و خنق الروح القومية خاصة بسياستها التعليمية في المدارس و كذلك ضرب الحركة الوطنية من خلال القمع الاداري اولا ثم القمع القضائي و هو الامر الذي صرح به سعد زغلول بعد من استقالته من نظارة الحقانية فقد كتب يصف نظارة محمد سعيد " **انها حاربت الحزب الوطني محاربة شديدة حتى بددت شمله و مزقت روابطه و اخمدت انفاس الاحزاب و ضيقت السبل في وجوه الاحرار ولا اظن ان مأموريتها انتهت من ذلك** " [5] و باستقالته زال صدامه مع حزب الوطني الذي ما ان ساند ترشيحه للجمعية التشريعية مصححا موقفه من سعد زغلول معترف بوجهه الوطني [6].

---

[1] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق**، ص 158.

[2] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص 51.

[3] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق**، ص 159.

[4] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ص123.

[5] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق، ص** 159.

[6] سعد زغلول : **مصدر سابق**، ص136.

ثالثا : سعد زغلول و الجمعية التشريعية

صدر قانون النظامي الذي انشئت بموجبه الجمعية التشريعية في اول من جويلية سنة 1914 و جاء في مقدمته " **رغبتنا هي منح بلادنا نظام حكومة يكون موافقا للأفكار النيرة و كافلا لحسن الادارة و الصيانة الحرية الشخصية و بغيتنا تعديل القانون النظامي باستبدال القوانين النظامية الحالية ترمي الى ضم مجلس الشورى مع الجمعية العمومية في هيئة واحدة** " فكان تقرير طريقة الانتخاب تكون اوسع و زيادة عدد الممثلين الذين يسمح اليهم بمشاركة في اعمال السلطة التشريعية حيث تتألف هذه الهيئة من اعضاء قانونيين و اعضاء منتخبين و يكون انتخاب الاعضاء بشروط و الكيفية المقررة في قانون الانتخاب حيث كانت في مصر ثلاث احزاب سياسية عند انشاء الجمعية التشريعية و هم حزب الوطني و حزب الامة و حزب الاصلاح احزاب سياسية لم تكن برلمانية و ليم يكن سعد زغلول عضو في اي منها و لكن انصاره في كل حزب معجبين به ، فحينما نزل الى ميدان الانتخاب كان مستقلا عن اي حزب و كان برنامجه جملة من الوعود لخدمة الشعب المصري و قضاء مصالحهم [1] فما ان صدر قانون النظامي بإنشاء الجمعية التشريعية عام 1914 حتى خاض سعد زغلول معركة الانتخابات [2] حيث رشح سعد زغلول نفسه في دائرتين من دوائر العاصمة اي على نصف المدينة تقريبا فنجح نجاحا فاق كل تقدير و نعتقد ان الغرابة كان لها شأن كبير في هذا النجاح لان نزول وزير سابق كسعد زغلول في الانتخابات على غير المعهود كان مفاجأة غيرت كل حسابات و كأن ماضيه في حركة الوطنية و كذلك في نظارتي المعارف و الحقانية كان مدخر في هذا اليوم حيث هزم كل العراقيل التي اعدت ضده هزم دعاية خمس سنوات و هزم مساعي اللورد كتشنر[3] انعقد الجمعية التشريعية في 22 من جانفي 1914 الى 17جوان من نفس السنة ، و قد نظرت في اعمال شتى انصرفت اولا الى ضرورة لجانها و مناقشاتها ثم نظرت في قوانين عن الشركات التعاون الزراعية و كذلك ردم المستنقعات و قانون خمس الافدنة و اصلاح الامتحانات و انشاء مدرسة عالية التجارة و المحاسبة ، فكانوا هؤلاء الاعضاء مفيدين للوزارة سمعت لهم و كان سعد زغلول زعيم المتعلمين [4].

---

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص ص 150-154.

[2] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص51.

[3] لورد كتشنر : ولد 1850 في لونجفورد اثبح ملازم1870ثم نقيب ثم اصبح حاكم عام على السودان و في 1892 اصبح سردار الجيش المصري انظر : زكري فهمي، **مرجع سابق**،225.

[4] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص ص 155-159.

حينما طالب سعد زغلول بحماية الشركات التعاونية و عرض ميزانية الاوقاف على الجمعية استطاع في مسألة الاوقاف ان يحصل على ثقة رئيس الوزارة حسن رشدي باشا على وعد صريح " **بان يكون السير في نظرها مطابقا لسير في بحث ميزانية الحكومة** " و هي رقابة طارئة كان الخديوي عباس الثاني يأباها كل الاباء ، لاعتقاده انه صاحب الحق المطلق فيما يرجع الى الاوقاف الاصلية و الخيرية على السواء ، اما شركات التعاونية فكان سعد زغلول يقترح ان يحال النظر في حلها الى القضاء و لا يكتفي فيه برأي مجلس الوزراء ، حجته في ذلك ان التحقيق الاداري يخلو من الضمان اللازم لحماية هذه الشركات التي ترتبط بها الاموال و المصالح العامة و ان تهديد الشركة بالحل لا يشجع اصحاب الاموال على معاملتها بل يدعوهم الى الحذر منها و الشك في دوامها فلم ينجح فيما اقتراح لأنه لم يؤيده الكثير من النواب الفلاحين ، اما قانون خمس الافدنة العزيز على اللورد كتشنر فقد جرحه فقد اظهر سعد زغلول ان هذا القانون قد اضر بالفلاح الصغير بعد ان سلبه ثقة المقترضين و ان المصلحة فيه كلها للمصارف الاجنبية دون الفلاحين سواء كبارا او صغيرا فالقانون يحرم الحجز على الثروة الارضية و ان المصاريف الاجنبية ضمنت ديونها كلها لأنها تقرض كبار الفلاحين و لا تقرض صغار الفلاحين و فقرائهم [1]

تعود الجمعية لمناقشة الموضوع مرة اخرى في جلستها حيث انتهت الضجة بفوز الحكومة حيث تقرر بأغلبية الاصوات 44 صوت مقبل 32 صوت الموافقة على ادراج مادة جديدة للائحة القوانين تقضي بأن يحل الوكيل المعين محل رئيس الجمعية في حالة غيابه ، و اذا غاب المعين حل محله الوكيل المنتخب ، و اذا غاب كلاهما تكن الرئاسة للأكبر سنا ، و بذلك تكون الجمعية قد استغرقت اربعة جلسات لمناقشة هذا الموضوع ثم تختلف سعد زغلول حضوره اربعة جلسات للجمعية من 23 مارس الى 31 من نفس الشهر لظروف خاصة و بعد استئناف حضوره الجلسات يقف مدافع عن وجهة نظر الحكومة عن استكمال مناقشة قانون تقرير اعادة الطعن و يختلف مع صديقه عبد العزيز فهمي الذي طالب ان تزداد الفترة المسموح بها لتقديم الطعن في الاحكام ضمانا للمحكوم عليهم و حرصها على حقوقهم ، و يوافقه الاعضاء على رأي سعد زغلول المعارض لذلك و يحدث مثل ذلك عند مناقشة بقية المواد القانونية وبذلك توافق الجمعية على المشروع كما ارادته الحكومة مع ادخال بعض التعديلات غير اساسية [2] .

---

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية** ، ص 159،160.

[2] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق**، ص، ص205.

اما موقف سعد زغلول من مسألة الوكيلين فقد كان اول موقفه و اهمها من الوجهة البرلمانية في الجمعية التشريعية لأنه الموقف الذي وزن قوة الحكومة بقوة المعارضة ، و حذر الحكومة من تهاون بالمعارضة و ان كانت لا تضمن في الجمعية إلا ثلث الاعضاء و ما يزيد على الثلث بقليل ، فالظاهر ان من وضعوا القانون النظامي لم ينتظروا رجل مثل سعد زغلول ان يرشح نفسه في مجلس ضئيل كالجمعية التشريعية ، و لم ينتظروا ان يجئهم فيها وكيلا منتخبا بمثل ذلك التفوق الذي يقارب الاجماع و حين انتهت المناقشة على حال موضوع الوكيلين قال ناظر الحقانية " يظهر ان الافكار الان غير منتجة الى النظر في هذه المسألة الى ان تأتي مناسبة للبحث فيها عند غياب الرئيس ، يضطر في هذه الحالة الى تفسير المادة ، و ما دام الامر كذلك لا داعي للكلام في الموضوع الان " و لكن الحكومة كانت على ما ظهر بعد ذلك مدفوعة الى تقرير نص يقضي بأبعاد سعد زغلول عن الرئاسة ، احس سعد زغلول بالمناورة فترسل بالوسائل القانونية للاعتراض على الاقتراح ، غير ان المناقشة اقفلت بعد ان تكلم بعض الاعضاء كلاما لا يغني في الموضوع حيث اصبحت الجمعية تبطل الغرض من اجتماعها و تغري الحكومة بإهمال وجودها فأضطر سعد زغلول للانسحاب و معه المعارضون و عددهم ثمانية و عشرون قصد تعطيل الجمعية ثم عادوا في الجلسة التالية و قال سعد زغلول في مستهلها " نحن نحترم الاغلبية و قراراتها و لا نقول في ذلك شيء بل هذا هو الاساس الهيئات النيابية ، و نحن لا قوة لنا إلا بالحق و باحترام القانون و لكن كل امر يحل بحرية ارائنا و كل امر يكون مخالفا للقانون في كيفية اخذ الاراء لا نقبله مهما كان مصدره عاليا و مهما كان الامر فيه فنحن انسحبنا لمخالفة القانون اما الان فأنا نخضع للقانون في اخذ الاراء على حسب الترتيب الطبيعي الذي طلبناه و لم يعسر على سعد زغلول مع هذا الانقسام بين الحكوميين و المعارضين ان يجمع الكثيرة من حوله[1] رأوا الذي شهدوه قائدا منطقيا و لعل تلك الكلمة التي القى بها الى اعضاء الجمعية التشريعية حين ذكر " يجب ان لا نكون ملوكيين اكثر من الملك " شعار الذي يوحي الى الناس تلك النزعة [2] و في جلسة اخرى يقترح سعد زغلول عندما يثير رئيس الجمعية وضع حد للعرائض المقدمة من الاهالي ان لا تنظر الجمعية لها ما لم تصدق عليها جهة حكومية [3].

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص ص 160، 168.

[2] عباس حافظ : **مرجع سابق** ، ص40.

[3] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص 206 .

الجدير بالذكر ان لجنة العرائض و الاقتراحات التي اصبح سعد زغلول احد اعضاءها ترفض اقتراحا قدمه الى الجمعية احد المواطنين ، و رأى فيه ان تكون من رغبات الجمعية في المعارف زيادة المصاريف المدرسية على الاولاد الاغنياء و تخفيضها بنسبة تلك الزيادة من اولاد الفقراء مساعدة لهم على التعليم و قد قالت الجنة في تبرير رفضها هذا ان العريضة رفضت لعدم اهمية ، و لا يعارض سعد زغلول عضو اللجنة و ناضر المعارف الاسبق و صاحب البيان الانتخابي الخاص بتوسيع نطاق التعليم و تعميمه بين جميع طبقات الامة و تيسيره على الفقراء منها ، كما يفق سعد زغلول في نفس الجلسة مدافعا عن رئيس النظار ، عندما طلب منه بعض الاعضاء ان يوضح للجمعية مدى رقابة الحكومة على الشركات الاجنبية حماية لحقوق المواطنين فامتنع رئيس النظار عن الاجابة و علق سعد زغلول امتناعه بأن للناظر الحق في ان يجيب عن اي سؤال يتقدم له اولا يجيب [1] و لقد التزم سعد زغلول اسلوب الجد في جميع مناقشاته بالجمعية التشريعية فلم يخرج عنه و لم يسترسل في فكاهة التي جبل عليها و في كثير من احاديه و خطبه فاستقامت المعارضة قوتها و اصبحت عاملا من عوامل السياسة المصرية كأنها كثرة غالبة في البرلمان معترف له بحق الرقابة ، فاستطاعت في مدى شهرين اسقاط الوزارة السعدية بقيادة محمد سعيد و استقالته و لم يشأ المستشار الانجليزي حمايته لأنه في نظره كان اداة تفريق داخل الوزارة لعكوفه على الدسائس الملتوية ، فنصب حسين رشدي باشا صديق المعارضين على الوزارة و كان اول ما جهر به من سياسته انه قال بعد ان اقسم اليمين " ان خير ما نفتتح به اعمالنا ايها السادة ان نسأل الله توفيق و اياكم لخدمة الوطن و انا لعاقد النية على العمل معكم على خطة الصراحة و التفاهم في اداء تلك المهمة " اي على خطة غير خطة الوزارة المستقيلة [2] و لعل خير ما يفسر مسلك سعد زغلول طول فترة اشتغاله في الجمعية التشريعية – بل ربما قبل ذلك– ما جاء على لسان سعد زغلول نفسه اثناء حديثه بالجمعية التشريعية في اخر جلسة حضرها و هي الجلسة ما قبل الاخيرة في دور انعقاد الجمعية حيث قال " **انا لا انكر اني كنت في الوزارة و لكن لم اكن رئيسا للنظار بل فرد منهم و مع ذلك فاني قلت فيما سبق انه كثيرا انه كثيرا ما يعمل الوزير و هو في وزارته عملا يعتقد بحسن نية و تأثير الظروف عليه انه الصواب ، و لا يكون كذلك** " [3].

[1] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص207.

[2] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص ص169 ، 173.

[3] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص 212.

يقول سعد زغلول " **انا كثيرا ما نصف بعض اعمالكم يا حضارات النظار بأنها ليست في مصلحة الامة و مع ذلك فنحن نعتقد انكم انما تعملونها بحسن نية و اخلاص لاعتقادكم انها في مصلحتها ، و ربما لو كنتم في مركزنا الان في الجمعية لنظرتم اليها بالعين التي ننظر بها اليها و كنتم من رأينا فيها ، و ربما لو كنا معكم في مركزكم لكان رأينا فيها مثل رأيكم فالمسألة اذن مسألة احسان يتغير بتغير المراكز و الظروف** " معنى ذلك ان سعد زغلول يرى ان مصلحة الامة امر غير محدد او غير واضح يختلف باختلاف مركز الشخص و عمله ، فقد تبدو للمرء بصورة ما على حين تبدو عكس ذلك تماما و هو في مركز اخر ، و هو مالا نوافق عليه ، حيث ان مصلحة الامة امر لا يتغير بالنسبة للمرء في كل الظروف و لعل سعد زغلول حديثه هذا يوضح تماما موقفه الشخصي او بمعنى اخر يبرر به اعماله السابقة اثناء فترة اشتغاله بالنظارة [1] انفضت جلسات الجمعية السابع عشر من جوان 1914 على ان تعود الى الانعقاد في اول من نوفمبر بحسب قانون النظامي ، و لكنها لم تنعقد في ذلك المواعيد و لا في موعد بعده و ذلك لنشوب الحرب العالمية الاولى اثناء الصيف و ظلت تؤجل من تاريخ الى تاريخ حتى صدر الامر بتأجيل انعقادها الى اجل غير مسمى فحل محلها الدستور الجديد ، لم يكتب لها من العمر إلا اكثر من تلك الاشهر الخمسة و جملة ما يقال من الرأي فيها انها حققت ما ينتظر منها في حدودها ، و ان الفترة الوجيزة التي قضتها تصلح لمقارنة بينها و بين فترات مثلها في سجلات المجالس النيابية ، حيث نظرت في تأسيس نظامها و ادارة جلساتها و نظرت في ميزانية العامة و الى القوانين المختلفة التي عرضتها عليها الحكومة و بسطت فيها من النقد و التعقيب ما هو جدير بالإصغاء او جدير بالإجابة و ليس هذا بقليل على تلك الفترة الوجيزة اذا صرفنا قوتها لا بقوة النصوص و لا بقوة التقاليد [2] في حين يرى البعض ان الجمعية الشريعية لم تعن لمطالب الامة فلا هي طالبت بالاستقلال و لا طالبت بالدستور ولا قامت بأي حركة احتجاجية على الاحتلال على القوانين الاستثنائية المقيدة للحرية و خاصة قانون المطبوعات و كذلك قانون الاتفاقات الجنائية ولا قانون الحد من حرية الاجتماعات و ما ذلك من وسائل الاضطهاد و لا فكرت في طلب العفو المحكوم عليهم في القضايا السياسية [3].

[1] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص 212

[2] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**،ص 173،174.

[3] محمد لاشين عبد الخالق : **مرجع سابق** ، ص 213.

الفصل الثاني :الحراك السياسي لسعد زغلول خلال ح ع 1

اولا :اعلان الحماية البريطانية على مصر 1914/12/18

ثانيا :تأليف الوفد المصري و مؤتمر الصلح

ثالثا : نفي سعد زغلول و رفقائه الى مالطا

اولا : اعلان الحماية على مصر

في 4 أوت اعلنت انجلترا الحرب على ألمانيا و كانت البريطانيون يحتلون مصر من سنة 1882 م [1] و عندما قامت الحرب العالمية الاولى سنة 1914 ظلت الاحوال هادئة في القطر المصري و هذا لأنها بعيدة عن مسرح احداث هذه الحرب ، إلا انه في 5 اغسطس من سنة 1914 اصدرت الحكومة المصرية قرار – تحت الضغط البريطاني – بمنع التعامل في الامور المالية و الاقتصادية مع الدول المدينة للحكومة البريطانية ، وحث القرار الحكومي المصري على تقديم كل العون الى بريطانيا في هذه الحرب ، حيث هاجم الوطنيون حكومة مصر و حسين رشدي رئيس الوزراء على هذا القرار و على اصدار مثل هذا التصريح دون ان ينزع من الحكومة الانجليزية في مقابل هذا وعد صريح يحقق أمال المصريين بالاستقلال بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى [2] ففي 18 اكتوبر صدر مرسوم بتأجيل جلسات الجمعية التشريعية الى اجل غير محدد و غير مسمى ، و في 2 من نوفمبر اعلنت الاحكام العرفية في البلاد [3] ثم صد تصريح بريطاني ان انجلترا سوف تتكفل بكل اعباء الدفاع عن مصر و انها لن تدعوا الشعب المصري الى الاشتراك الفعلي في الحرب ، وقد صدر هذا التصريح بناء على طلب رشدي باشا رئيس الوزراء المصري الذي اعترض بمررة على اعلان الاحكام العرفية [4] .

عندما بدأت معالم الحرب تظهر ظهر ميل الدولة العثمانية الى الانتماء الى المعسكر في وسط اوربا الذي كان يضم كل من ألمانيا و النمسا[5] و في 6 نوفمبر اعلنت انجلترا الحرب ضد الدولة العثمانية و هكذا كان على انجلترا ان تتخذ قرار على مصر و ان تختار وضع من ثلاث اوضاع و هي : اما ان تضمها الى امبراطوريتها او تعلن حمايتها عليها او تترك امورها على ما هي عليه اما ضم مصر الى الامبراطورية فانه يثير الدول الحايدة و يدفعها الى نقد السياسة الانجليزية في مصر [6].

---

[1] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر المعاصر** ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1997، ص 9.

[2] جاد طه : **معالم تاريخ مصر الحديث و المعاصر**، دار الفكر العربي، (ت ب)،ص 271.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم،شوقي الجمل : **تاريخ مصر و السوادن الحديث و المعاصر**، دار الثقافة ، القاهرة، 1997،ص245.

[4] جاد طه : **المرجع السابق** ، ص 271.

[5] محمد محمود السروجي : **دراسات في تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر** ، الاسكندرية ، (ب ت)ص 137.

[6] جاد طه : **مرجع سابق** ، ص 272.

اما اعلان الحماية على مصر فمن شأنه ان يعطي ممثل انجلترا وضعا محددا يفوق وضع ممثلي الدول الاخرى جميعا في البلاد لذلك اختارت انجلترا اعلان الحماية على مصر ، و اعلان الحماية من دولة على اخرى كان يصحبه عادة اتفاق بين الدول الاستعمارية و الدول المحمية بقصد تبرير وضح اتفاق بين الدول الاستعمارية من الناحية الشكلية ، امام الرأي العام العالمي و ان كان مفهوما انها حين تعلن حمايتها انما تفرض نفسها فرضا بوسائل الضغط السياسي و العسكري و لكن لا حكومة المصرية ولا اي هيئة مصرية اخرى طالبت بالحماية التي اعلنتها انجلترا من طرف واحد مما جعلها غير مقبولة من مصريين لولا ظروف الحرب التي لم تمكن احد من الادلاء برأيه بصراحة ،[1] خاصة و قد اعلنت الاحكام العرفية و تحددت الحريات و انتشرت جيوش الاحتلال في البلاد [2] بتاريخ 18 ديسمبر 1914 م اعلنت انجلترا حمايتها على مصر و نشرت جريدة الوقائع المصرية في نفس اليوم اعلان الحماية " يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر الى حالة الحرب التي سببها عمل الدولة العثمانية قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته ، و اصبحت الان فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية " و بدلك قد زالت سيادة الدولة العثمانية على مصر و ستتخذ حكومة جلالته كل التدبير اللازمة للدفاع عن مصر و حماية مصالحها و بهذا الاعلان حلت الحماية السافرة محل الحماية المقنعة التي فرضها الانجليز على مصر من 1882 و من السهل ان تدرك ما في هذا الاعلان من معنى العدوان اذ ما علاقة موقف الدولة العثمانية و دخولها في الحرب بإعلان الحماية البريطانية على مصر لقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف لو حسنت النية للانجليز ان تعلن استقلال مصر الكاملة و ان تعلن اعترافها باستقلال مصر التام ، لأنه بزوال الدولة العثمانية تزول سيادتها على مصر و يصبح استقلال مصر عنها استقلال تاما ، اما ترتيب اعلان الحماية البريطانية على زوال الدولة العثمانية يفسر الا بالغرض الذي كان الانجليز يسعى له و هو اهدار استقلال مصر الداخلي و التام ، و تلك كانت نيتها منذ 1882 من احتلالها الغير شرعي لمصر[3] برغم ان فرض الحماية على مصر لا يزيد من فاعلية السيطرة البريطانية ، فان اعلان الحماية تذل مواطن المصري [4].

[1] جاد طه : **مرجع سابق**، ص 272.

[2] John Marlowe :Anglo-Egyptian relations 1800-1956 , London, 1965,P 214-215.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919 تاريخ مصر القومي من 1914 الى 1921**، دار المعرف ، القاهرة ، (ب ت)،ص21..

[4] جاد طه : **مرجع سابق**، ص 272.

الحماية البريطانية على مصر تثير الغموض في المستقبل بل كلمة حماية نفسها ذليلة لم يكن ليقبلها الشعب المصري فمقتضيات الاحكام العرفية لم يكن لها من تأثير في بادئ الامر في الحياة اليومية في مصر فان اعلانها معناه الجيش البريطاني اصبح له السلطة العليا في التشريع في مصر [1] و من ناحية انجلترا فتعتقد بفرض الحماية تقطع بذلك صلة وهمية تربط الدولة العثمانية و الحماية في نفس الوقت لا تعني ضم مصر الى ممتلكات المملكة البريطانية فقط و انما تعني نوعا من الرباط البريطاني يضمن لها القيام بالتزاماتها الحربية في يسر و سهولة لخدمة مصالحها و كذلك مصالح حلفائها اثناء الحرب و هذا الوضع السياسي الجديد لن يثير اعتراضات الدول المنية بالأمر ضدها ، و من ناحية مصر فان الحماية لا تعني فقدان البلاد لاستقلالها بصفة نهائية و انما يعني وضعا معينا اقتضته طبيعة الظروف الحربية التي تمر بالبلاد و ان هذا الوضع سيكون موضوع مناقشة بعد انتهاء الحرب و زوال الاوضاع التي حتمت وجوده ، فالحماية التي فرضته على المصريين بحد السيف لا تعني ضياع الامل لديهم في معاودة بحثهم لهذا الموضوع مرة اخرى [2] كان من الواضح على المصريين انتظار نهاية الحرب العالمية التي نشبت في العالم ان يحددوا موقفهم في المحتل و يطالبوا بإلغاء هذا الاجراء الاستثنائي ويطالبوا بحقوقهم في الاستقلال و الحرية ، و بقي وضع مصر شاذا امام هذه الحرب كما كان عليه من وقوع الاحتلال ، فالحماية البريطانية لم تلغي السيادة العثمانية و لا هي اثرت على الامتيازات الاجنبية و مع ذلك فأن انجلترا افادت من اعلان الحماية فألغت وزارة الخارجية المصرية و حولت ملحقاتها الى المندوب السامي البريطاني [3] و في اليوم الثاني بعد اعلان الحماية الانجليزية على مصر الى اجراءات منها خلع الخديوي عباس حلمي الثاني[4] من على عرش الخديوية في مصر و كان هذا في 20 ديسمبر من سنة 1914 [5] كان الخديوي عباس حلمي غائب عن مصر اثناء نشوب الحرب حيث كان متواجد في الاستانة في و بقى بها حتى اعلنت الحرب بين المانيا و انجلترا [6] .

---

[1] جاد طه : **مرجع سابق**، ص 273.

[2] محمد محمود السروجي : **مرجع سابق**،ص 150،151.

[3] جاد طه : **مرجع سابق**، ص 273،274.

[4] عباس حلمي الثاني : ولد 1884 ثم درس في مدرسة عابدين بمصر ثم انتقل الى فينا و عند عودته توفي ابوه فتولى عرش الخديوية في مصر 1892 انظر الى : زكي فهمي ، **مرجع سابق**،ص82.

[5] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل : **تاريخ مصر و السودان** ...، ص 245.

[6] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919**... ، ص 31.

تردد الخديوي عباس حلمي الثاني في عودته الى مصر ، وعندما اعتزم الرجوع الى مصر اظهرت الحكومة البريطانية رغبتها في عدم عودته ، كانت نيتها في خلعه في اليوم الذي اعلان عن الحماية البريطانية على مصر تم خلع تم خلع الخديوي عباس حلمي الثاني و اعلنت الحكومة البريطانية عن تولي الامير حسين كامل عرش الخديوية في مصر ، نشر اعلان ذلك في جريدة الوقائع المصرية حيث كان نص الاعلان كما يلي " **يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر ما اقدم عليه خديو مصر السابق عباس حلمي الثاني بالانضمام الى اعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية و قد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل باشا أكثر الامراء الموجودين في سلالة محمد علي فقبله** " [1] في نهاية سنة 1914 وصلت جيوش بريطانيا ، و بدأت العمليات الحربية في سيناء و قناة السويس لمواجهة الغزو العثماني من جهة فلسطين وصلت الى مصر في هذه الاثناء ما يقارب ثلاثة عشرة فرقة الجيش البريطاني و على الرغم من تعهد الانجليز بإعفاء مصر و جيشها من المشاركة في الجهود الحربية في هذه الحرب لكن بريطانيا اخلت بهذا العهد بعد ايام قليلة فقط [2] و بتولي السلطان حسين كامل[3] الحكم على مصر ارسل اليه المعتمد البريطاني في مصر تبليغا يعتبره المؤرخون بمثابة دستور اولي لنظام الحماية البريطاني على مصر تناول فيه ما يجب ان تكون عليه العلاقة المصرية البريطانية في الفترة الحرجة التي تمر بها البلاد فاعترفت بريطانيا بأن ما كان للسلطان السابق من سلطة قد ألت اليه ، و ان انجلترا قد وجدت أفضل طريق تسهل لها القيام بمسؤولياتها في البلاد ان تعلن على رأس البلاد احد افراد أسرة محمد علي ، على استمرار لما كان متبعا في عهد علي ، وان زوال السيادة العثمانية عن البلاد يسمح للسلطان حق زيادة عدد قوات الجيش المصري و منح ما يشاء من رتب للقيادة [4] و على الرغم من اعلان انجلترا الدفاع عن مصر و عدم اشراك جيشها في الحرب لكن ظروف الزمت انجلترا الاستعانة بالقوات المصرية للدفاع عن قناة السويس [5] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة1919...** ، ص 31، 32.

[2] جاد طه : **مرجع سابق،** ص 274.

[3] حسين كامل :ولد بالقاهرة 1853 و درس بمدرسة مصرية ثم انتقل الى باريس و تعلم العلوم النافعة ثم عاد وعين مفتش على الاقاليم و في 19 ديسمبر 1914 عين سلطان على مصر انظر الى: زكي فهمي،**مرجع سابق**،36.

[4] محمد محمود السروجي : **مرجع سابق،** ص 151،152.

[5] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة1919...**، ص 32.

في نفس الوقت اعدت الدولة العثمانية للزحف على مصر من الشرق خطة لكي تلهي انجلترا عن الزحف من الشرق و ذلك بالتفكير لان تعد حملة من جهة الغرب لينشغل الانجليز بمواجهة الحملة الغربية [1] حيث استطاعت الدولة العثمانية اقناع السنوسيين التوجه نحو مصر و تنفيذ حملة ضد الانجليز حيث نفذ الحملة في نوفمبر من سنة 1915 حيث دارت معارك عنيفة ضد الانجليز يطلق عليها حملة السنوسي [2] هكذا زجت انجلترا بمصر و المصريين في حرب كان الكثيرون من المصريين يرون مصر لا ناقة لها و لا جمل ، و انها حرب ضد دولة الخلافة الاسلامية ، و باشتداد الحرب كان على المصريين ان يحملوا نصيبا منها فقد اعتقلت السلطات البريطانية عددا كبيرا من المصريين حيث اشتبهت في ميولهم و اتجاهاتهم و سخر الكثير من المصريين لخدمة المجهود الحربي البريطاني في تعيين الطرق و نقل المواد التموين و سخرت وسائل النقل من دواب و سكك الحديد و استولت على المواد التموينية الازمة لإعانة الاعداد الفقيرة من الذين تجمعوا في مصر و في باقي مناطق الشرق الاوسط ، هذا بالإضافة لمن جند من المصريين للخدمة العسكرية و قد اعتبرت السلطات البريطانية مصر قاعدتها الرئيسية للعمليات العسكرية في الشرق الاوسط تمول منها حملاتها على فلسطين و سوريا و العراق [3] اخذت السلطة العسكرية من بداية الحرب على تجميع ما تستطيع من العمال و الفلاحين بطريقة الاكراه لإرسالهم الى مختلف النواحي في شبه الجزيرة سيناء و العراق للعمل في ما تحتاج اليه الجيوش ، و كان ظاهر الدعوة في جمع هؤلاء العمال بطريق الاختيار و التطوع و لذلك سموا بالمتطوعين و لكن الحقيقة غير ذلك لأنهم كانوا مكرهين يؤخذون بطريق التجنيد [4] .

---

[1] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر** ...، ص 9،10.

[2] حملة السنوسي : اعد السنوسي الكبير السيد احمد الشريف السنوسي بالاتفاق مع الدولة العثمانية حملة على مصر من حدودها الغربية و نفذت هذه الحملة في نوفمبر من سنة 1915 حيث انسحبت حاميتا كل من مدينة السلوم و كذلك مدينة سيدي براني و دخلها السنوسيون و اعتصم الانجليز في مرى مطروح حيث اتخذوها مقرا لقيادتهم و دارت معارك عنيفة حولها في اوخر سنة 1915 و أوائل سنة 1916 انتهت بارتداد السنوسيون و زحفت القوات سنوسية اخرى جنوبا ، احتلت مدينة سيوه و كذلك الواحات البحرية و مدينة الفرافرة و مدينة الداخلة ، ثم زحف الجيش الانجليزي المصري من مرسى مطروح بالسيارات المدرعة حيث دارت اشتباكات عنيفة يوم 26 فيفري في مدينة اجاجية الواقعة جنوب شرق مدينة سيدي براني على مسيرة خمسة عشرة ميلا انتهت بسترداد سيدي براني و مدينة السلوم و في نوفمبر من سنة 1916 استرد الانجليز الواحات الداخلة و مدينة الفرافرة و في 1917 استرد واحة سيوة و انتهت الحملة السنوسي بالاخفاق و الهزيمة انظر الى : **عبد الرحمان الرافعي : المرجع السابق**، ص 52.

[3] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر**...، ص10.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919**...، ص53.

وضعت الحكومة المصرية سلطتها و موظفيها رهن أوامر السلطة العسكرية البريطانية فكان الحكام الاداريون من المدريين الى عند البلاد يقومون بعملية جمع الرجال قسرا و تجنيدهم في هذه الاعمال ، حيث اغتنم الكثير من العمد هذه الفرصة لسوق خصومهم الى هذا التجنيد الذي كان بمثابة النفي و الاستهداف للأخطار ، كان منهم أيضا يتخذون الدعوة الى هذا التطوع وسيلة للرشوة يبتزونها من الاهالي لإعفائهم من هذا التجنيد و اشترك في الرشوة مع الاسف كثير من الحكام و الاداريين حيث بلغ عدد العمال و الفلاحين الذين اخذوا من مصر حتى نهاية الحرب بالملايين حيث مات منهم الكثير كانوا عونا لجهة انجلترا في ادراك النصر ، و لم تقتصر السلطة الانجليزية على جمع الرجال و الفلاحين فقط بل استولت على الدواب حيث لم تترك جمل صالح للعمل إلا و استولت عليه بأقل الاثمان حملت عليها الحبوب و المؤن و علف المواشي حيث استولت على كثير من غابات الاشجار لتنتفع بأخشابها لجأت الى انقاص مساحة المزروعة بالقطن و تحويلها الى زراعة الحبوب لتموين الجيوش المتدفقة على مصر ، و جملة القول ان جميع موارد مصر من الرجال و المهمات و المؤن و المواشي و المحاصيل الزراعية كانت تحت تصرف السلطة العسكرية البريطانية ، حيث صارت الحكومة بجميع فروعها تعمل بلا انقطاع لتقديم كل مساعدات اللازمة للجيوش البريطانية حتى ان بعض المصالح خصصت نفسها لهذا العمل مهملة شؤون وظيفتها الاصلية ، و ارهقت السكك الحديدية بحركات النقل الحربي وتلف بذلك عدد كبير من القاطرات و العربات [1] في 19 اكتوبر 1917 توفي السلطان حسين كامل و اعتذر ابنه الاكبر الامير كمال الدين حسين عن تولي السلطة فأصبح شقيق كمال الدين حسين الامير فؤاد سلطان ، وقدر ما انفقته الحكومة المصرية على متطلبات انجلترا بمصر أثناء الحرب مبالغ كبيرة بالنسبة للميزانية المصرية في ذلك الوقت و قد اقترحت الحكومة البريطانية على الحكومة المصرية ان تتحمل ميزانية هذه المبالغ و ان تعترف بجهود انجلترا التي حمت البلاد من خطر اطماع الخارجية ، انتهت الحرب العالمية الاولى بهزيمة ألمانيا و حلفائها فقد القت بلغاريا السلاح و بعدها استسلمت الدولة العثمانية [2] خرجت انجلترا قوية من هذه الحرب خاصة في شرق الاوسط حيث سيطرت على قناة السويس و الاماكن المحيطة بها[3] .

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919...**، ص 54،55.

[2] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر...**، ص11.

[3] محمد مصطفى صفوت: **انجلترا و قناة السويس 1854-1956**، المكتبة التجارية الكبرى، (ب ب)،(ب ت)،ص 120.

في 11 نوفمبر 1918 عقدت الهدنة بين ألمانيا و الحلفاء و انتهت هذه الحرب الطاحنة بانتصار انجلترا و حلفائها[1] وقد كان المصريون في هذه الاثناء يتطلعون الى طلب الاستقلال بعد ان تحملت مصر و شعبها الكثير اثناء الحرب و ذلك من اجل مساندة الاعمال الحربية للحلفاء خاصة ان الحلفاء اثناء الحرب اعلنوا حق الشعوب في تقرير مصيرها ، حينما اعلن الرئيس الامريكي ولسن في خطابا له في يوم 5 جانفي من سنة 1918 المبادئ الاربعة عشر[2] و من بينها حق الشعوب في تقرير مصيرها ، كانت انجلترا اثناء الحرب جمدت الجمعية التشريعية فقد اصبحت السلطة التنفيذية و التشريعية في يد الحكومة الانجليزية و على رأسها السلطان الذي كان يتلقى من المندوب السامي التعليمات و قد اعلنت انجلترا انها ستبحث بعد خروجها و حلفاءها من الحرب منتصرين الوضع في مصر حيث صدر من فرنسا و انجلترا انهما يعتزمان تحرير الشعوب التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية و تعطي حقها في ان تقيم حكومات وطنية ، شجعت كل هذه العوامل المصريين لمطالبة انجلترا حق تقرير المصير و هو الاستقلال و اختيار نوع الحكم الذي يرتضونه حيث كانت كل الدول الخاضعة للدولة العثمانية سابقا تعد وفودها للسفر الى مؤتمر الصلح بباريس لعرض قضاياها و مطالب شعوبها فكان طبيعيا ان تتخذ مصر نفس الاتجاه بحكم انها كانت تحت سيادة الدولة العثمانية [3].

بمجرد ان اعلنت الهدنة بين الدول المتحاربة حتى أخذ الساسة المصريون يتشاورون في مصير البلاد و كان كبار زعماء الحزب الوطني منفيين و معتقلين ، فتصدر الموقف المعتدلون و معظمهم من أعضاء الجمعية التشريعية و رأى هؤلاء ان يرسلوا وفدا مثل بقية الشعوب التي تتأهب لإرسال مندوبيها الى مؤتمر الصلح بباريس ، خاصة ان مصر لم تثر العراقيل في وجه السلطة البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى بل ساعدتها قدر طاقتها في النصر ضد اعدائها خاصة ان انجلترا نزفت كل خيرات البلاد و استخدمت كل السبل لتحقيق النصر باستخدام الجيش المصري اثناء الحرب و لهذا اخذ المصريون يتطلعون الى نيل حريتهم بعد ان لمست طبقاتهم جميعا مدى العنف الذي تعرضوا له اثناء الحرب نتيجة ربط البلاد بعجلة السياسة الاستعمارية [4] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919**...، ص 58.

[2] mahmud Y. Zayd : Egypts straggle For Independence, beriut,1965,P 78.

[3] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر**.... ص11،12.

[4] جاد طه : **مرجع سابق**، ص 275.

ثانيا :تأليف الوفد المصري و مؤتمر الصلح :

منذ اوائل 1918 بدأ رجال الساسة المصريين تشكيل وفد للبحث ما يجب عليه بعد انتهاء الحرب لتحقيق أمال المصريين و المحافظة على حقوقهم و ضم هذا الوفد حسين رشدي و عدلي يكن و سعد زغلول و علي الشعراوي و محمد محمود و عبد العزيز فهمي و لطفي السيد كما ظهر وفد اخر من رجال الحزب الوطني لمتابعة الاوضاع في مصر و تبني قضيتها حيث بذلت جهود كبيرة لتوحيد الوفدين لكن الجهود في هذا السبيل لم تنجح فقرر سفر وفدين لعرض قضية البلاد احدهما رسمي يمثل الحكومة و يضم حسين رشي باشا و عدلي يكن و الاخر وفدي اهلي برئاسة سعد زغلول على ان يضم هذا الوفد ممثلين لمختلف فئات الشعب و عدد من اعضاء الجمعية التشريعية و ممثلين عن اقباط مصر و كذلك عن العشائر البدوية و بعض اعضاء الحزب الوطني للحديث باسم المصريين و عرض مطالبهم على مؤتمر الصلح الذي تقرر عقده في باريس لبحث اوضاع الدول بعد انتهاء الحرب ، و قبل نهاية 1918 كان الوفد قد تم تشكيله بل ان البعض يذكر ان المهتمين بالقضية المصرية كانوا قبل انتهاء الحرب تماما كانوا قد درسوا ما يجب اتخاذه من خطوات مع انجلترا بدليل انه لم تكد تعلن الهدنة حتى اتصل المندوبون المصريون بالمندوب البريطاني السامي ليحدد لهم موعدا لعرض وجهة النظر المصرية [1] .

في يوم 13 نوفمبر 1918 تناقلت انباء ان وفدا مصرا برئاسة سعد زغلول و علي شعراوي و عبد العزيز فهمي قابلوا السير ريجالد ونجت ممثل انجلترا في مصر و أبلغوه انهم بوصفهم نواب الامة يطالبون انجلترا ان تعترف باستقلال مصر و ان مصر مستعدة متى اعترفت انجلترا بهذا الاستقلال ان ترتبط مع انجلترا بمعاهدة صداقة تكون فيها ندين متساويين ، و تتعاونان بحكمها في مواجهة الظروف الدولية اذا اقتضت الظروف الدولية هذا التعاون ، اذيعت انباء هؤلاء الرجال الثلاثة الذين قاموا و قابلوا مندوب انجلترا بالنيابة عن زملائهم اعضاء الوفد ، و انتشرت في البلاد خبر هذا اللقاء ، حيث بعث في نفوس المصريين املا في مستقبل خير مما هم فيه ذلك لان الناس ضجوا طيلة سنوات الحرب لبطش الاحكام العرفية بالحريات ، ولان الملاك و المزارعون و الفلاحون اشتد استيائهم بعد استيلاء السلطة البريطانية على كل ارزاقهم و و أقواتهم [2].

[1] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر**...، ص 12،13

[2] محمد حسين هيكل : **مذكرات في السياسة المصرية**، دار المعارف، القاهرة، ص 68.

بقي هذا الوفد محط انظار الامة على ان الامة كانت في حيرة من الامر لا تدري ما عسى ان يطلب اليها ، ثم كان اكبر رجائها ان يوفق الله هؤلاء الذين اخذوا على عاتقهم السعي لاستقلالها [1] و قد شك المندوب السامي البريطاني اثناء مقابلته للوفد في حقه الشرعي بالتحدث باسم المصريين لذا سعى الوفد للحصول على توكيلات و توقيعات من مختلف الهيئات و كذلك الشخصيات الوطنية ليضفي عليها صفة الشرعية و قد حصل الوفد على المئات من التوكيلات من مختلف فئات الشعب المصري ليمكنه الاستمرار في مساعيه السلمية و الشرعية لتحصل مصر على استقلال الكامل الذي ترنو اليه ، و قد لمس الوفد من هذه المقابلة مع المندوب السامي عدم استعداد انجلترا للاعتراف باستقلال مصر الكامل و اتجاهها فقط لان تشكيل وزارة مصرية تقبل الحماية ، و كذلك العمل لان يكون السلطان فؤاد متجاوبا مع الوزارة في هذا الاتجاه و قد تعددت اجتماعات الوفد المصري لبحث ما يمكن اتخاذه في ذلك الوقت من اجراءات [2].

و لجمع هذه التوقيعات و التوكيلات شكلت هيئة تتألف من سعد زغلول رئيسا و علي شعراوي و كذلك عبد العزيز فهمي و محمد محمود و احمد عبد اللطيف السيد و عبد اللطيف ميكاتي كأعضاء و فوضوا هؤلاء ان يضعوا لصفوفهم من يختارونه للاشتراك في مهمة التي كلفوا بها لجمع هذه التوقيعات ، و بعد مقابلة 13 نوفمبر 1918 و تشكيل الوفد طلب رئيس الوفد من السلطات الاحتلال منحه هو و أعضاء الوفد جوازات السفر للتنقل الى انجلترا لتحدث مع رجال السياسة الانجليز و بالرأي العام الانجليزي و تعرض عليهم مطالب الامة المصرية ، في حيث اعترض الجانب البريطاني و رفض تنقل الوفد و سفره الى انجلترا و دعاه لان يقدم اليه وثيقة يكتب عليها ما يريد تقديمه من اقتراحات بشرط إلا يخرج ذلك عن الخطط التي رسمتها حكومة جلالة الملك و اعلنتها من قبل ، اضطر الوفد ازاء ذلك الى ان يرسل نداء الى معتمد الدول الاجنبية في مصر ثم الى الرئيس الامريكي ولسن عند جاء هذا الاخير الى باريس للمشاركة في مؤتمر الصلح المقرر انعقاده يحتج به على السلطة البريطانية ضد الوفد و كذا منعه من السفر الى اوربا للمشاركة في مؤتمر الصلح ليعرض على اولي الشأن مطالب المصريين راجيا ان تتاح الفرصة لمصر ليسمع صوتها كما وجه الوفد رسالة مماثلة لأعضاء المؤتمر الصلح [3].

---

[1] محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص 69.

[2] شوقي الجمل ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : **تاريخ مصر**...، ص13.

[3] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل : **تاريخ مصر و السوادن** ....، ص289.

و من بين رجال السياسة التي وجهت له رسالة الوفد المصري هو رئيس مجلس العام البريطاني يعلن فيها بطلان الحماية البريطانية على المصريين و يحتج فيه على الحصار الذي تفرضه السلطات البريطانية على مصر و المصريين لمنعهم من السفر و التعبير عن رأيهم هذا و قد اصدر الوفد بيانا بتشكيل الوفد و شرح مقاصده و اهدافه و وسائله ، كما اتجه الوفد الى طمأنة الاجانب بمصر فوعد بعدم المساس بحقوقهم و امتيازاتهم ، و اتجه الوفد الى تعبئة الرأي العام الداخلي بالتعبئة الشعبية فازدادت حركة جمع التوقيعات و التوكيلات الشعبية لأعضاء الوفد للتحدث باسم الأمة كما تعددت الاجتماعات العامة ليتحدث فيها الاعضاء للجماهير عن القضية المصرية و المطالب المصريين العادلة في التخلص من الاحتلال و كذلك الاشارة الى موقف السلطات البريطانية من هذه المطالب و قد حاولت السلطات البريطانية في مصر منع مثل هذه الاجتماعات السياسية ، في حين طلب رشدي باشا رئيس الوزارة المصرية السماح له و لزميله عدلي يكن باشا بالسفر الى انجلترا للمناقشة في المسألة المصرية و كان ذلك بناء على اتفاق مع سعد زغلول و حاول السير ونجت ان يقنع حكومته بالموافقة على ذلك التنقل و سافر من اجل هذا الى باريس ثم الى انجلترا لكن حكومته كانت ترى ان الوقت غير مناسب لهذه الزيارة بسبب انشغال الوزارة البريطانية بمؤتمر الصلح المنعقد في باريس ، فطلبت تأجيل هذه الزيارة ، وكانت الحركة الوطنية في مصر قد ازدادت اشتعالا و مركز سعد زغلول و أعوانه قد ازداد قوة [1] .

حيث لم يزل الوفد يوالي احتجاجه عند رجال الدول كلما وصل وفد من وفودها الى مؤتمر الصلح حيث ارفقهم بعدة رسائل الى صناع القرار و لم يخف على الوفد نصيب الامم الضعيفة عند الساسة و الوزراء الممثلين لحكوماتهم في مؤتمر الصلح ، و لكنه اعتقد ان هذه النداءات كائنا ما كان مصيرها فلها الفضل في تحقيق نفي الشبهة التي يسجلها على مصر السكوت في تلك الاونة حيث يعتقد انها لان تذهب عبثا بين الدول المتنافسة على حل مشاكلها و توزيع المطامح القومية ، فان الإنجليز لن يقدروا على التحكم في مشكلات الدول الاخرى باسم العدل و الحرية و عندهم قضية مثل قضية مصر قائمة يصل الى اسماع الوزراء و الساسة خبرها كل مرة مع احد مندوبين الدول الوافدة لمؤتمر الصلح [2] .

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل : **تاريخ مصر و السودان** ...، ص289،290.

[2] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية** ،ص ص 208-212.

ان الانجليز لن يقدروا على التحكم في مشكلات الدول الاخرى باسم العدل و الحرية في حين لديهم قضية مصرية قائمة يصل الى اسماع الوزراء و الساسة خبر عنها مابين آونة و اخرى ، فلا بد عليهم اجلا ام عاجلا الاستماع للقضية المصرية ، قد يكون اسهل عليهم من مساومة الدول عليها و اعادة المساومة كلما تجدد خلاف بينهم و بين الدول او بينهم بين الامة المصرية حيث عمد الوفد الى الاجتماعات كلما سمحت الفرصة ، ففي الثالث عشر من يناير أقام حمد الباسل حفلة في بيته و حضرها عدد كبير من اعضاء الوفد ، فألقى بينهم سعد زغلول اول خطابا له في اجتماع وطني أقيم بعد الحرب فبدأ بشكر صاحب البيت ثم الحاضرين ثم استطرد النكال بالاحتلال و الانكار بالحماية و سياسة السلطة البريطانية في مصر حيث قال " الحماية امر باطل بطلانا أمام القانون الدولي ، و مخالف مخالفة صريحة لمبادئ الجديدة التي خرجت بها الانسانية من هذه الحرب الهائلة ، فنحن أمام قانون الانساني أحرار من كل حكم اجنبي ، فلا ينقصنا إلا ان يعترف مؤتمر الصلح بهذا الاستقلال " ثم تحدث عن مبادئ التي جاء بها ولسن و ركز على عنصر تقرير المصير حيث ذكر " ان امتنا بقواعد الحق و العدل هو عدتنا و ان اجماع امتنا على الاستقلال حجة قائمة و لا ينقص إلا يسمع مؤتمر الصلح صوت الامة المصرية و هذا هو النحو الذي نريده في قضيتنا حيث نريد ان تكون مصر حومتها دستورية و ان تراعي تفاصيل النظام حالة البلد الخصوصية و ان تقوم بعمل اصلاحات اقتصادية و اجتماعية و كذلك وضع طريقة للمراقة المالية لا تقل اهمية بالنسبة للبلاد الاجنبية ثم دعا سعد زغلول مئات من وجوه البلاد الى اجتماع في منزله في اليوم الحادي و الثلاثون من شهر يناير فعلمت القيادة العسكرية بهذا فمنعتها و ابلغت سعد زغلول امر هذا المنع [1] حيث أعدت الجمعية السلطانية محاضرة في دارها يوم 7 فيفري من سنة 1919 حيث القى المستشار البريطاني المحاضرة عن قانون العقوبات الذي وضعته لجنة الامتيازات و كان المستشار قد القى محاضرة الاوى في 17 جانفي ، و كانت المحاضرة قد تناولت التشريع الجديد مع الحماية ، فأعتزم سعد زغلول ان يخطب في هذا الاجتماع عقب المستشار البريطاني للمحكمة حيث بعد نهاية المحاضرة صعد سعد زغلول المنبر و رفع صوته ببطلان الحماية ، فحضر هذا الاجتماع اعضاء الوفد و كبار مثقفين من رجال القانون و القضاء غصت القاعة بهم [2] .

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص ص208-212

[2] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص 173،174.

صرح سعد زغلول اثناء انعقاد المحاضرة حيث قال " أيها السادة ، اني اشكر حضرة المحاضر على ما قاله من انه يريد لمصر المستقبل شرع خاص و لكن أقول لحضرته ان هذا الشروع موجود فعلا من امد بعيد ، ان امتنا المصرية ليست من قبيل الاقوام الهمج الذين لهم شرائع و انما بلد كبلدنا تكون له حياة عريقة في القوانين و الشؤون يشرعها بنفسه [1] .

فوجئ الحاضرون بهذه الخطوة التي جاءتهم في غير مكانها و في غير اوانها...لأنهم حضروا ليسمعوا الى خطة في تسجيل الحماية لا الى خطة في انظار الحماية و اعلان بطلانها فهرع بعض الموظفين الانجليز الى النور يريد ان يطفئه لفض الاجتماع ، لكن منعوا اخرون لأنه عمل لا يليق في جمع كذلك الجمع ، و غادر بعض الافراد و كثير منهم بقى يشاهد الاجتماع متشوقين لما سوف سيصنع بالرجل الذي قام بين اساطين الاحتلال لينكر نظام الحكم في وجه ممثله ، ماذا يصنعون به و البلاد ما زالت في قبضة القيادة العسكرية البريطانية ، فبهذا اصبحت القيادة العليا مع الوفد في حالة تعرض الى الاصطدام بينهم [2] استقال حسين رشدي و زميله عدلي يكن من الوزارة في اليوم التالي من سماعهما رفض السلطة البريطانية سفر الوفد الى اوروبا [3] كانت هذه الاستقالة في اول مارس من سنة 1919 حيث قبلت الحكومة البريطانية سفر كل رشدي و عدلي يكن وحدهما الى اوربا ، و دعيا فعلا الى السفر الى لندن في اواسط شهر فبراير فأبيا السفر إلا ان تسمح السلطة البريطانية السفر لكل مصري اراد السفر الى اوربا لكن الحكومة البريطانية لم تقبل هذا الشرط ، حيث كانت الاستقالة معلقة لكن اصرار حسين رشدي على الاستقالة قابله السلطان بالموافقة و ارسل اليه بيان يقول فيه " **عزيزي رشدي باشا ، ان استقالة دولتكم كانت من أشد بواعث الاسف لدينا ، فمع الشكر لدولتكم و لحضارات زملائكم على ما قمتم به من خدمة صادقة ارجوا الاستمرار في ادارة الاعمال الى ان يتم تأليف وزارة جديدة و الله المستعان** " كان هذا النص من السلطان لحسين رشدي بمثابة تصريح بقبول الاستقالة من الوزارة [4] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص 174،175.

[2] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص، 212.

[3] عبد الخالق لاشين : **سعد زغلول و ثورة 1919**، تقديم احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الكتب و الوثائق القومية ، مصر ،2009،ص178.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ... ، ص180.

ثالثا : نفي سعد زغلول و رفقائه الى مالطا:

لا بد لنا من القارعة ! تلك هي الكلمة التي كانت سعد زغلول يرددها في الاسبوعين الاخيرين قبل نفيه ، لأنه كان يرى بحق ان السكوت يتبعه سكوت و ان الحركة تتبعها الحركة و لم يكن جازما ما ان الثورة آتية بعد القارعة التي كان يتصدى لها و يستبطئ وقوعها ، لان المعسكرات و القلاع و المطارات في مصر كانت تعج بالجيوش و تزدحم بالمدافع في حين المصريين يفتقدون للبنادق الصيد ، و كانت الصحف مراقبة و الخطب ممنوعة و الدخول و الخروج للبلاد بمرصد من الجواسيس ، فإذا تعذرت الثورة على المصريين فغير عجيب ان تتعذر و غير لازم ان تثور الامة و هي غير قادرة على حماية نفسها ، لم يكن سعد زغلول جازما بوقوع الثورة و ان أتت فلن يكون مجيئها إلا بقارعة تشعل نيران الغضب في الامة ، كان من عادته ان يخرج من مكتبه يمشي في الطريق ثم يعود ، حيث وجد احد اعضاء الوفد فقال ان جماعة لم يأتوا أتراهم لا يأتون ؟ فقال سعد هذا ليس بنافع اما ان يدعوننا الى السفر او يلقوا علينا القبض[1] وذلك اثر اضطرار السلطان فؤاد في مارس 1919 م قبول استقالة رشدي باشا دعا سعد زغلول و اعوانه الى تقديم عارضة للسلطان شديدة اللهجة فيها لن يجد من اي مصري مخلص لتشكيل وزارة في هذه الظروف [2] في اليوم التالي جاء ضابط بريطاني و معه جنود الى بيت الامة لمقابلة سعد زغلول و عندها خرج سعد من بيت الامة لمقابلة الضابط فلقى له تحية العسكرية و طلب منه التوجه معه ، لكن سعد ذكر ان له سيارة ولكن الضابط اشار الى السيارة العسكرية و كانت اخر كلمة قالها سعد و هو خارج من بيت الامة تشجعوا حيث ذكرها باللغة الفرنسية ، و سال الضابط على صدقي باشا و فأجابه من بين الحاضرين ، قام الضابط الانجليزي بمسك كتف صدقي باشا ثم تكلم صدقي انا ذاهب الى مكتبي و ان كنت اعتزم الهرب لما تكلمت بين الحضور ثم ذهب صدقي الى مكتبي و رجع في حين سأل الضابط الانجليزي عن منزل حمد الباسل باشا ؟ فلم يجبه احد و بعدها اشار احد الواقفين الى المنزل و دل الضابط عليه تقدم عبد العزيز فهمي الى الضابط و الاضطراب باد عليه و قال بالفرنسية اذا اردتم ان استدعاء احد منا فعليكم ان تكتبوا له و هو يحضر اليكم [3].

---

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص،221،222.

[2] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل : **تاريخ مصر و السودان** ...، ص291.

[3] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول زعيم الثورة** ،ص12.

اعادها عدة مرات لان الضابط لا يفهم الفرنسية و نحو ساعة حضر الى بيت الامة حمد باسل باشا و كان قد علم امر الباشاوات و ما الذي تعرضوا له فخاطب مركز القيادة العليا الى اين تريدونني ان أتيكم فأحالوه الى الثكنة العسكرية ليسأل عن اصدقائه وصل الى الثكنة و تكلم معهم و ثم دخل سعد و اصحابه الثكنة العسكرية و انفرد كل منهم على حجرة حتى المساء ثم سمح لهم بالاجتماع ساعة العشاء ، حيث قضوا اليلة في الثكنة يتساءلون عن مصيرهم و في اليوم التالي ابلغهم ضابط التوجه الى منازلهم و احضار ثياب تكفيهم مدة شهر في اليوم التالي توجه بالسيارة العسكرية الى محطة العاصمة و معهم عشرون ضابط حيث صعدوا قطار بور سعيد و لم يكن سعد و اصحابه يعلمون الوجهة التي يتجهون اليها حيث ظن سعد زغلول و اصحابه الوجهة تكون الى بور سعيد فلما وصلوا الى هناك وجدوا ضابط اخر ينتظرهم فأركبهم معه ثم توجه الى الميناء ، و اصعدهم الى نقالة بريطانية تنقل الفين من الجنود البريطانيين في طريقهم الى بلادهم ، اخذت الباخرة تدركهم على وسائل النجاة لان السفن كانت تصطدم بالألغام كثيرة في بحر الروم ، علم سعد زغلول و اصحابه انهم منتقلون الى جزيرة مالطا حيث كانت القيادة البريطانية تأسر المعتقلين المصريين و الاتراك و الالمان ، ولكنهم لم يعلموا ذلك من ضابط النقالة إلا بعد الخروج من الميناء ، فقيل لهم في عرض البحر انهم ذهبوا الى تلك الجزيرة و وصلوا اليه خلال ثلاث ايام [1] .

تساءل الكثيرون من هذه الحادثة على اي قاعدة جرت الحكومة الانجليزية باختيارها اصحاب سعد زغلول و اعتقالهم و لماذا هم من بين اصدقائهم ؟ و تعليل في هذا الامر على ما نرى ان القيادة العسكرية البريطانية لاحظت التقاليد الرسمية في اختيار كبار الوفد الذين يعتقلون مع رئيسه [2] وفي صبيحة يوم التاسع من مارس ، و كان النبأ بالقبض على الباشاوات الاربعة واعتقالهم قد سرى في انحاء العاصمة ، و انتقل منها بسرعة البرق الى انحاء الاقاليم الاخرى المصرية ، و كان الجميع في مصر سواء ، انجلترا و مصريين و اجانب ينتظرون ما عسى ان يكون رد الفعل السلطات البريطانية لهذا القرار الذي اتخذته انجلترا ازاء من ينادون باستقلال مصر عن الانجليز [3] .

---

[1] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ،ص، 225.

[2] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول زعيم الثورة** ،ص13.

[3] محمد حسين هيكل : **مرجع سابق** ، 1951،ص67.

الفصل الثالث :من الثورة الى دستور الثورة 1919الى1923

اولا :مجريات ثورة 1919

ثانيا :مفاوضات سعد زغلول – منلر

ثالثا :تصريح 28 فيفري 1922 و ظهور دستور 1923

اولا : مجريات ثورة 1919 :

1 :احداث الثورة و مجرياتها:

بدأت الثورة يوم الاحد التاسع من مارس 1919 م[1] بمظاهرات سلمية ألفها الطلبة اذ أضربوا عن تلقي الدروس ، و خرجوا من مدارسهم ، و ساروا بادئ الامر في نظام و سكينة و تقدمهم اعلامهم و يهتفون بحياة مصر و الوفد و بحياة سعد زغلول و سقوط الحماية الانجليزية على مصر منذ صبيحة هذا اليوم و اجتمعوا في فناء المدرسة بالجيزة يعلنون اضرابهم فنصحهم ناظر المدرسة بالعدول عن الاضراب ، و كان يخاطبهم بهدوء فلم يستمعوا لنصيحته فاستدعى نائب المستشار البريطاني لوزارة الحقانية ، فجاء على عجل ، و كرر عليهم النصيحة بالعودة الى مقاعدهم الدراسية و ترك السياسة لإبائهم فأجابوه انا ابائنا قد سجنوا لا ندرس القانون في بلاد يداس فيه القانون فرأى المستشار ان لا سبيل لإقناعهم فتركهم و انتقل الطلبة الى مدارس اخرى مثل مدرسة الزراعة حيث خرجوا معهم و صاروا كثر يهتفون بحياة مصر و قائدها سعد زغلول ثم انتقلوا الى مدرسة الطب فرأى ناظرها ان يحول بينهم وبين طلبته فحصلت بينه و بينهم مشادة سقط اثرها على الارض ثم ذهبوا الى مدرسة التجارة العليا و انظموا اليهم طلبتها ثم ساروا الطلبة جميعا هاتفين متظاهرين قاصدين ميدان السيدة زينب و قبل ان يدركوه احاطوا بينهم الشرطة و حالوا دون دخولهم الى الميدان حيث اخذوا المئات منهم الى قسم الشرطة ، و اثناء الظهر جاءت فرقة من الجيش فأرادوا صرف الطلبة الى بيوتهم فأبوا فهددوهم باعتقالهم في المحافظة حيث زاد عدد بعد انضمام مدرسة المتوسطة للتجارة و كذا دار العلوم و مدرسة القضاء الشرعي و الإلهامية و الثانوية و غيرها من المدارس التي سرت فيها روح الاضراب ، الجمهور بالطلبة و ساروا معهم متظاهرين ، و لما وصل الطلبة المحجوزون ، داس حصان أحد الجنود على رجل احد الطلية ، فنبهه الطالب و ما كان على الجندي إلا ان يضرب فغضبوا الطلبة على ما صدر من الجندي و انضمت اليهم العامة و انهالوا عليه ضربا بالحجر فحصل هرج و مرج و فر [2] و أضرب عمال الترام بعد الظهر ، في اليوم الحادي تجددت المظاهرات من طلاب المدارس طلاب الازهر و طوائف شتى من الجمهور فقابلها الجنود البريطانيون بإطلاق المدافع الرشاشة [3].

[1] أمل السبكي : **سعد زغلول و الكفاح السري** ، دار المعارف ، القاهرة، (ب ت)،ص26.

[2] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص 189.

[3] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية** ،ص226.

في يوم الاثنين عشرة مارس كان جميع المدارس و الازهر قد اضربوا عن دروسهم و اعلنوا الاضراب مظاهرة كبرى الفوها ، انظم اليها افراد الشعب هاتفين بحياة سعد زغلول و كذلك حرية مصر ، كان في هذا اليوم اول القتلى و الجرحى ذلك انه حينما مر المتظاهرين بشارع الدواوين حضرت شرذمة من الجنود البريطانيين لحراسة دواوين الحكومة فأطلق الجندي بعض طلقات نارية اصابت بعضهم و اختلفت الروايات هل حدث اصابات ام لا و يذهب البعض الى الحديث على انه لا يوجد قتلى في يوم الاثنين و انما كان في اليوم الذي يليه و يقصد بذلك يوم الثلاثاء احدى عشر مارس ، في حين اكد بعضهم على وجود اولى القتل يوم الاثنين و بعد العودة الى دفاتر القتلى في قسم زينب وجد وفاة مصري مجهول و لعله رمز الشهيد الذي توفي يوم الاثنين عشرة مارس ، حدث اضراب عام بالمدارس في هذا اليوم ، فكان اجتماعيا و كان طبيعيا و لا مصطنعا و لا حزبيا بل منبعثا من قلوب مفعمة بالإخلاص للوطن ، و لا غرض لهم سوى الوطن و كذلك كانت مظاهراتهم ، و ان تخلل تلك المظاهرة الكبرى بعض حوادث لم يكن من الميسور منعها[1] حدثت اعمال تمرد و نهب [2] تعدى بعض من المتظاهرين على عربتي ترام و سقط في هذا اليوم 6 اشخاص كذلك بدأت حوادث قطع الكهرباء و الهاتف و التلغراف [3] و اعتدوا على واجهات المحلات ، و قد استاء الطلبة من حدوث ذلك ، في اليوم التالي أذاعوا منشور في الصحف العربية و الاوربية يعربون فيه عن اسفهم من الوقع و يدعون الى الاقلاع و نشروا بيانا للأجانب يكررون اسفهم على حوادث الاعتداء و يطمئنهم على مصالحهم قالوا : الى حضارات مواطنينا الاجانب ، قد تأسفنا نحن معشر الطلبة مما وقع عند قيمنا بمظاهرات السلمية التي قصدنا بها اظهار عواطفنا مع مواطنينا و هكذا فلنكن احباء كما عشنا مدى الازمان" [4] انتشرت الثورة من القاهرة الى الاقاليم و القرى المجاورة و أتلفت خطوط الحديدية و حصد رصاصهم المئات من المتظاهرين حيث اشترك البدو في الثورة ووصلت الى مناطق اخرى شكلت فيها لجان تولى السلطة الفعلية فيه استولت على مراكز الشرطة و دبرت بنفسها شؤون الامن [5].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص 192،191.

[2] ريمون فلاور : **مصر من قدوم نبليون حتى رحيل جمال عبد الناصر** ،تر **احمد على الناصري**،جلس الاعلى للثقافة،القاهرة،2000،ص230.

[3] نوافر نصار :**حرب السويس و شروق شمس الناصرية**،الاردن ، 2010،ص 136.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص197،196.

[5] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل : **تاريخ مصر و السوادن** ...، ،ص292.

قام الفلاحون بقطع خطوط السكك الحديد و التلغراف و استولوا على مراكز الشرطة و مخازن الحبوب [1]و لما رأت السلطة العسكرية البريطانية كثرة المظاهرات و اتساعها و تشعبها في مختلف الاحياء ، اصدر القائد العام في هذا اليوم بمنع المظاهرات و انذار من يخالفون هذا الامر بالمحاكمة العسكرية ، و قد نشر الامر في الصحف ، و ألصق على الجدران في الشوارع و الميادين ، و نصف : جناب قائد القوات في القطر المصري يلفت الجمهور الى أنه لما كانت البلاد لا تزال تحت الاحكام العرفية فلا يجوز القيام بأي اجتماع عمومي او اية مظاهرة و كل شخص يخالف هذا الامر يحاكم بصفة مستعجلة " و اخذت السرايا الدوريات البريطانية تطوف الشوارع الميادين لتنفيذ هذا الأمر ، و سار الجند بأسلحتهم و معداتهم من بنادق و حراب و سيارات مصفحة و اخرى مجهزة بالمدافع الرشاشة لقمع المظاهرات ، و اطلقوا النار على من صادفهم من المتظاهرين ، و كان أول مصادفة بين الجنود و المتظاهرين في هذا اليوم بميدان باب حديد على مقربة من كوبرى شبرا الممتد فوق السكة الحديدية ، ثم شارع عماد الدين ، و قد عرفنا من أسماء الشهداء في هذه المصادفة [2] و تعددت المظاهرات في مدن القطر فقوبلت بمثابة ما قوبلت به في القاهرة حيث شاع خبر اطلاق الرصاص و القتل في انحاء الأقاليم فأنفجر سخط الذي طال كضمه في الصدور حيث انفجرت الثورة في كل بقاء مصر و من الخطأ ان يقال ان المظاهرات كانت هي سبب في نشوب الثورة ، وإنما كانت المظاهرات شرارة الاولى من فوهة البركان فمن شهد تلك الثورة الجارفة التي اندفعت في حينها اندفاعا يدل على عمق مكانتها و تأجج وقودها أيقن انها لا تحبس طويلا ، و انها هي سبب المظاهرات و ليست نتيجة المظاهرات فقد صبر الناس زمنا على مظالم الحرب فانتظروا الفرج بعد الهدنة [3] استؤنفت المظاهرات من طلبة الأزهر حيث ساروا بمواكبهم بشارع نور الظلام ، فشهد الزحام في هذا الشارع حيث انظم اليهم طلبة مدراس الثانوية و كذلك افراد من المجتمع المصري و امرت المحكمة قضاتها و موظفيها بالانصراف ووقف اعمالها حيث كانت طلقات الرصاص من طرف الجنود كثيفة على طلبة الازهر [4] و في اليوم التالي اضرب طلبة الازهر و المدارس الثانوية[5].

---

[1] محمد أنيس : " **دور الفلاحين في ثورة 1919** " مجلة أفاق عربية ،ع 27، بغداد ، 1977،ص 12-14.

[2] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ص198

[3] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص227.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص201.

[5] محمد علي الغتيت : **الغرب و الشرق من الحروب الصليبية الى حرب السويس** ، دار القومية ، القاهرة ،ج2،ص68.

قامت السلطات الانجليزية بقمر الثورة بالشدة حيث استعانت القوات البريطانية قواتها من سوريا مما ادى سقوط عدد كبير من الضحايا المصريين في كل مكان [1] خشيت القيادة البريطانية ان تسرى روح التظاهر و الإضراب من الطلبة و العمال الى موظفي الحكومة ، ففي اليوم 14 مارس أنذرتهم السلطة العسكرية باجتناب مناصرة الحركة ، و اصدرت لذلك بلاغا نشرته الصحف يوم 14 مارس قالت فيه : " **جناب القائد العام للقوات القطر المصري ينبه جميع مستخدمي الحكومة باجتناب الحركات السياسية و بالاستمرار في محال اعمالهم حيث يكونون تحت حماية السلطة العسكرية ، و يعلن الجميع ان كل من يحاول أن يعرض لهم يؤخرهم في أداء الاعمال المفروضة عليهم يعرض نفسه للعقاب الشديد بمقتضى الاحكام العرفية** " تجدد مظاهرات يوم الجمعة و تجدد الاعتداءات عليهم بعد خروجهم من الصلاة حيث وجدوا المدرعات البريطانية امامهم و أخذ الجند البريطاني يطلقون الرصاص على المصلين و هم خارجون من المسجد و قد ظنوا انهم متظاهرون ، و الحقيقة انهم كانوا منصرفين من المسجد و كان منشأ حضور السيارتين ان صيدليا في هذه الجهة رأى شجار اما محله و استدعى الشرطة عبر الهاتف ، و بعد انتهاء الشجار جاءت القوة البريطانية و لم ظهر المصلين من المسجد ظن القوات البريطانية ان هذا هو الشجار و انها عبارة عن مظاهرة فوقع اطلاق الرصاص حيث قتل ازيد من 24 شخصا و اصيب ازيد عن 30 شخص [2] لم يكن يقف الانجليز من هذه الاحداث العنيفة موقف المتفرج لذلك واجهوا الحركة بالعنف اشد عنف و لم تكن مظاهر تقوم إلا اسرعوا بمواجهتها و اطلقوا النار على كل متظاهر فيما كان ذلك شأنهم في العاصمة و في غير العاصمة ، ثم هددوا بقية اعضاء الوفد ممن لم ينفوا الى مالطة بأنهم يحملونهم تبعية هذه الاضطراب و اصدر اعضاء الوفد بيانا فيه دعوة الى الهدوء ، لكن الامر كان قد خرج من يد الوفد و اعضائه ، و اصبح كل يتحرك بدافع وجدانه و هذه الحركة الوجدانية هي التي دفعت لجنة الموظفين الى اضراب الموظفين فتعطل العمل الحكومي كله ، و كذلك ظلت الحركة تزداد انتشارا يوما بعد يوم [3] و الشاهد ان الجيش المصري لم يقم بقمع هذه المظاهرات [4].

---

[1] زين عابدين شمس الدين نجم : **تاريخ العرب الحديث و المعاصر**، دار المسيرة ، عمان، 2011،ص 135.

[2] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...،ص202.

[3] محمد حسين هيكل : **مرجع سابق**، ص 78.

[4] عبد العظيم رمضان :" **موقع الجيش المصري في ثورة 1919**"، مجلة السياسة الدولية ، مج 9،ع31، القاهرة ، 1973،ص ص86-91.

اضرب المحامون عن عملهم اعلانا لاحتجاجهم على الحالة التي وصلت اليها البلاد و ابتدأ اضراب هم يوم 11 مارس ، اذ اجتمعوا من تلقاء انفسهم في هذا اليوم بقاعة المحامين بمحكمة استئناف مصر ، و قرروا الاضراب ووقعوا على عرائض اجمعت الامة المصرية على طلب استقلالها و السعي لدى مؤتمر السلام لاعتراف بهذا الاستقلال ، ولكن الحكومة الانجليزية رأت ان ذلك لا يتفق مع مصالح حزب الاستعمار البريطاني و نفذوا المحامين هذا الاضراب و كان اثره بمثابة دعوة عملية الى طوائف الشعب لإضراب و حذا المحامون الشرعيون حذو زملائهم الأهليين فأضربوا عن العمل ، و لما صارت البلاد في حالة ثورة كبيرة اصدرت السلطة قرارا بعد سريان المواعيد القانونية في قانون المرافعات [1] و الحقيقة ان الحوادث قد جرت بعد ذلك على غير تدبير الوفد فقد استولى الشعب على المدن و الثغور و القرى و على زمام الموقف و انتقل الامر الى أيدي اللجان الثورية ، و الجمعيات السرية و غيراها من التنظيمات التي ظهرت ابان الثورة و التي نشأت تلقائيا وسط المعارك دون ان تتلقى وحيا من الوفد و معنى هذا ان الشعب قد قفز من مسرح الحوادث سابقا قياديه التي كانت بحكم تكوينها من عناصر معتدلة تؤثر على حل القضية المصرية في اطار قانوني داخل مؤتمر الصلح و في الحقيقة ان دور الوفد في تنظيم الثوري يأتي بعد اخماد ثورة مارس ، فتوكيل الوفد اصبح حقيقة ملموسة ، اصبح الشعب هو الاصيل و الوفد هو الوكيل ، و فيما يتصل بالانجليز ،فلم يعد يجديهم ان يكتسبوا تسليم دول الاوربية بمركزهم في مصر و اعترافا منها بالحماية ،لان البث في المسألة المصرية لم يعد في يد دول اوروبا و انما اصبح في يد الشعب المصري ،و بهذا باتت المسألة المصرية مسألة مصرية لا مسألة دولية [2] عقد السيدات عزما على اقامة مظاهرات اخرى فاجتمعن يوم الخميس في 30 مارس صباحا بالحديقة القريبة من النيل و من هنا سرنا ماشيات ، و في مقدمتهن سنة اعلام كتب على احدها باللغة العربية " **اننا نحتاج على سفك دماء الابرياء العزل من السلاح** " و كتب في الثاني " **نحتج على قتل الأبرياء** " و كتب على الثالث " **نطلب الاستقلال التام**" [3] حيث طالبوا كل هؤلاء اطلاق سراح سعد زغلول و زملائه [4].

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ... ، ص ص 203-228.

[2] عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر** 1517-1952، دار الفكر ،الاسكندرية،1989،ص411.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص 234.

[4] حسين مؤنس: **دراسات في ثورة 1919**،دار المعارف ،القاهرة ،1976،ص70.

كتبن على الاعلام الثلاثة الاخرى عليها باللغة الفرنسية و سارت المظاهرات و خلفهن مركبتان حتى وصلن الى شارع قصر العيني ، حتى وصلوا الى شارع سعد زغلول وقفوا أمام بيت الأمة هاتفات ثم قلبت قوة كبيرة من الشرطة طوق عليهن حصار تحت الشمس مدة ساعتين و أرسلن باحتجاجاتهن الى سفارات الدول ، و جاء القنصل الامريكي بنفسه وشاهد هذا الحصار فذهب الى فندق القيادة البريطانية ، و احتج على هذه الفظاعة ، فصدر الامر على عجل يرفع الحصار ، و تمكن السيدات من الخروج من النطاق المضروب حولهن ، فركبن السيارات و العربات التي كانت تنتظرهن ،و انصرفن الى بيوتهن [1] و لقد أفهمت ثورة الشعب في مارس سعد زغلول ان المسرح السياسي القديم اختفى كلية ، و ان حزب الأمة لا يستطيع ان يكون الممثل الرئيسي فيه ، بل ادرك ان مصر اصبحت مسرحا لتحركات ثورية شعبية لم يكن يحلم بها قبل الحرب العالمية الاولى ، و من ثم فقد كان الموقف يتطلب تطور ثورية القيادات القديمة ارتفع الى مستوى التضحيات التي بذلتها الأمة المصرية في ثورة مارس و قد عبر سعد زغلول عن احساسه بقوة الطبقات الشعبية و صدق ثورتها و على الرغم من ذلك كان سعد يرفض ان يعطي حركة الشعب 1919 مضمونا اجتماعيا ، فيقول " **لا يطرب سمعي اكثر من رجلا فقيرا لا قوة عنده ينادي ليي الوطن و ليس يطمع في شيء إلا ان يعيش كما هو** " [2] .

لقد اخطأت السلطة العسكرية البريطانية في تدبير اثناء المظاهرات حيث كانت تستفز الناس بكل عمل تقصد به الى البطش و الارهاب و تدفعهم الى نقيض الخوف و الطاعة الى اثارة النفوس و الى التحدي و المعاناة بدلا من الاذعان و السكينة اد بالغت السلطة البريطانية في معاملة الناس حيث اظهرت بطش كبير و انذرت كل من يقوم بالمظاهرات بالإعدام رميا بالرصاص بمقتضى الاحكام العرفية فكان جواب هذا الانذار[3] حيث كانت ثورة شعبية شارك فيها كل من فئات المجتمع المصري فقد اتخذت الثورة طابع عنيف و مسلحا بعد ان بدأ سلمية على شكل احتجاجات تنادي بالحرية و باسم يعد زغلول حيث نجحت الثورة في الارياف كما نجحت في القاهرة و شكل الثوار شرطة مدينة وطنية لحفظ النظام و الامن في البلاد [4].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص 234.

[2] عمر عبد العزيز عمر: **مرجع سابق** ،410.

[3] عباس محمود العقاد، **سعد زغلول سيرة و تحية**، ص230.

[4] اسماعيل احمد ياغي :**تاريخ العالم الاسلامي الحديث و المعاصر**، دار المريخ،الرياض،1993، ص32.

نشب الثورة في مارس 1919 و استمرت الحوادث الثورية طيلة هذا الشهر و شهر ابريل و استمرت الى شهر اغسطس ، و تجددت في اكتوبر ليس من المستطاع احصاء عدد القتلى المصرين في هذه الفترات التي شملت الثورة ، على انه جاء في خطبة وكيل خارجية البريطاني في مجلس العموم يوم 15 ماي 1919 ان عدد قتلى من المصريين بلغ حتى هذا التاريخ ألفا قتيل و هذا الاحصاء لا يتناول من قتلوا بعد ذلك و قال في تعليق على هذا " **ان شيء هائل و فضيع وورد في تقرير اخر ان عدد الضحايا الثورة 1.8 الف و و ان الحكم على هذا الاعداد قابل للزيادة ، و لان المصادر و الاحصاءات اجنبية يمكن ان تكون غير صحيحة و ان الاعداد اكثر من هذا بكثير لا يقل على ثلاث ألاف قتيل**" [1].

2 مواجهة الثورة :

في ظل انطلاق الثورة و انتشارها في كل بقاع مصر فاجأت حوادث الثورة الحكومة الانجليزية ، حيث لم يتوقع احد ان يثور الشعب المصري و ان يخلق ثورة بهذه الجرأة خاصة في ظل خروج الانجليز من حرب منتصرين ، حيث واجهت هذه الثورة اثر انطلاقها بالقوة و القمع من طرف الانجليز ثم لجأت الى كبار شيوخ مصر الى طلب منهم الى نصح الشعب المصري لوقف الثورة دون ما جدوى ، حيث تواصلت هذه المظاهرات الثورية في مصر وشعرت السلطة البريطانية انها في مواجهة ثورة شاملة اقلق ذلك مركزهم السياسي و هم يحاولون تثبيت الحماية بانتزاع الاعتراف الدولي ثم موافقة مصر ، و لكن في ظل مواجهة الثورة و المظاهرات بسياسة القمع و السلاح يجعل منها في موقف حرج امام الساحة الدولية ، سرعان ما انقلبت سياستهم فأرسلت من باريس الى لندن برقية تتضمن تغير السياسة السالفة في مصر و ذلك من اجل ارضاء الساحة الدولية و كذلك تدعيم موقفها من فرض الحماية على مصر [2] .

أخذت حكومات السلطة البريطانية تبحث في كيفية تغير السياسة المطبقة على مصر الى اي السبل التي تأخذ من استعطاف موقف الساحة الدولية منها و سياستها المطبقة على مصر و اي السبل تسلك لمواجهة الثورة بسياسة جديدة لهذا الانقلاب في نفسية الشعب المصري[3] .

---

[1] أمل السبكي : **مرجع سابق،ص**89.

[2] عبد العزير رفاعي : **ثورة مصر سنة 1919 دراسة تارخية تحليلية** ،دار الكتاب العربي ، القاهرة، (ب ت)،ص141.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص274.

عين الجنرال أللنبي[1] مندوبا ساميا بعد نشوب الثورة بنحو اسبوعين في مصر بعد ان جربت السلطة البريطانية كل الوسائل من أجل ايقاف الثورة و كبحها ، حيث شاءت بريطانيا مواجهة الثورة بسياسة مغايرة عكس الشدة التي كانت مطبقة سالفا ، و عرفت هذه السياسة الجديدة بسياسة اللين و الهوادة [2].

وصل الجنرال اللنبي الى القاهرة يوم الثلاثاء 25 مارس 1919 فأستقبله على محطة العاصمة نائب مندوب السامي و مجموعة من وكلاء الدول السياسيون كذلك جمع من كبراء و بادرت السلطة العسكرية يوم وصله الى اصدار بلاغ رسمي بشبه في روحه بيان الذي اذيع في لندن ، يرمي على نية الحكومة البريطانية في تجاهل مطالب البلاد و استخفافها بالثورة قالت " **لعلم انه بالنظر الى الحالة الحاضرة في قطر المصري و بالنظر الى غياب فخامة نائب الملك قد تعطف جلالة الملك بتعين فخامة الجنرال السير أدمن اللنبي خاصا عن جلالته في مصر و هو نائب عن جميع السلطة العسكرية في جميع الامور ، و عليه ان يتخذ الاجراءات التي يراها لازمة و مناسبة لإرجاع مراعاة القوانين و حفظ النظام في تلك البلاد ، و ان يدبر في الامور على حسب احتياج حفظ حماية جلالة الملك في مصر على أساس ثابت و أمين** " ولم استقر به المقام في مصر افضى يوم 26 مارس بالتصريحات الى بعض الكبراء و الاعيان ممن استدعاهم خصيصا لسماعه حيث قال " لقد تعطف جلالة الملك بتعييني نائبا عن جلالته في مصر و رغبتي وواجبي يقضيان علي بأن أساعد على اعادة السلام و الأمن الى البلاد و لي اغراض اولها ان أضع حدا و نهاية للإضرابات الحالية و ثانيا ان أزيل كل الشكاوي التي تستوجب العدالة ازالتها و عليه فعليكم مساعدتي في ان اقوم بواجبي و الواجب يقضي عليكم ان تعملوا لمصلحة بلادكم و لست اظن ان احد منكم لا يرغب في خلاص بلاده من هذه المظاهرات و بعد اعادة البلاد الى الامن فانه يجب علينا كذلك ارجاع الثقة الى الشعب المصري في وجود السلطة الانجليزية [3] .

[1] ادموند هنري اللنبي (1861-1963): عسكري بريطاني تخرج من كلية سان هيرست كان قائد العام لجيش الذي احتل القدس اثناء حرب عالمية الاولى انظر الى : محمد حسين، مرجع سابق،ص189.

[2] عبد العزير رفاعي: **المرجع السابق**،ص 137.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص277 .

لم تؤثر تصريحات المندوب الجديد الجنرال أللنبي في نفوس الناس ، و لم تصرفهم عن متابعة الثورة و الهياج ، و كذلك لم يؤثر فيهم من نداء اصدره أعضاء الوفد و كذلك بعض الوزراء و العلماء و الكبراء في 24 مارس بالدعوة الى الهدوء و السكينة ، فقد اجتمع أعضاء الوفد و كبار العلماء و الوزراء السابقين من اجل نصح الشعب المصر ، و بدأ الجنرال أللنبي في اول اجراء له حيث قابل حسين رشدي و أعضاء وزارته المستقلة بناء على رغبته لكي يعرف آراءهم في اسباب الاضطرابات و يستطلع رأيهم في الموقف العام ، كما قابل اعضاء الوفد الباقين و سألهم عن أسباب المظاهرات التي وقعت ، فوعده بكتابة تقرير عن ذلك و تقديمه له حيث ارجعوا فيه الثورة الى استياء الشعب المصري من عدم مساواتها في المعاملة بالأمم الصغيرة التي لا تفضلها في المدنية ، و منع المصريين بسط أمالهم في مؤتمر الصلح ، و قالوا في ختام التقرير ان كل المصريين من أكبر رجل الى أصغر طفل فيهم في هذا الاستياء سواء دفعهم اليأس الى اظهار ما في النفوس ، كل يترجمه على شاكلته فالرجال المسئولون من رسميين و غير رسميين قد ترجموه بالاحتجاجات المختلفة ، بالامتناع عن العمل كالمحاميين و اما السباب في شاكلة المظاهرات اما سكان الاقاليم فأعرب عنه بعضهم بالمظاهرات السمية ، تلك هي حقيقة الوضع الذي فيه بلادنا الآن ، بسطناها الى فخامتكم بالاختصار ، و بالحق نرجوا ان تأمروا بتحقيقها و الرجاء معقود بعدلكم ان تزيلوا هذا الاستياء بالقضاء على اسبابه [1] .

بعد ان جربت السلطة العسكرية البريطانية كل الوسائل من اجل اخماد الثورة لم يسعها إلا ان تجرب الوسيلة الباقية التي اقترحها المصريون من البداية و هي اطلاق الحرية لسعد و رفقائه في الوفد ليسافر حيث شاء فالحجز عليهم كان من اسباب المظاهرات و تأزمها الى الثورة و كذلك سبب استقالة وزارة حسين رشدي و عدم تأليف وزارة اخرى كما هو غليان النفوس في المجتمع المصري [2] فأذاع الجنرال اللنبي المستشار الجديد في مصر بعد اسابيع فقط بلاغا أعلن فيه انه لم يعد حرج في سفر جميع المصريين الذين يردون مبارحة البلاد فلهم مطلق الحرية ، و في الواقع ان الحكومة البريطانية قررت معالجة المسألة المصرية بهدوء من اجل الحصول على اعتراف الشعب المصري نفسه بحماية بريطانيا على مصر و لهذا تنازل على سماح لهم بالسفر [3].

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص277-280.

[2] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق**،ص 138.

[3] عبد العظيم رمظان: **تطور الحركة الوطنية في مصر 1918-1936**، الهيئة المصرية العامة ، (ب ت)،ص151.

3 مهادنة الثورة:

رأت الحكومة البريطانية بعد تعاقب الحوادث ان سياسة القمع بالقوة و البطش قد تفضي الى اخمادها ، إلا انها وسيلة عكسية لا تؤدي الى الغرض الذي ترمي اليه ، لأنها تؤجج نار العداوة في النفوس ، و تزيد حفيظة الشعب عليها ، فرأت و قد أخذت الثورة بالشدة حينا ، ان تجنح ولو مؤقتا لمهادنتها و التخفيف من حدتها ، و التحبب ظاهرا الى الأمة المصرية وإذا اعتقدت ان السبب المباشر للثورة هو اعتقال سعد زغلول و صحبه ، فقد صح عزمها على تقرير الإفراج عنهم و ترخيص للوفد و لمن يشاء من المصريين بالسفر الى اوروبا ، و بذلك تجنب قلوب الشعب و تكسر من حدت ثورة ، و بهذا نصحها الجنرال اللنبي المندوب السامي البريطاني ، و ازجى لها هذا الرأي في برقية بعث بها في 31 مارس 1919 و لما يمضي على قدومه الة مصر اسبوعين فأخذت بنصيحته السلطة البريطانية ، فلم ترى من سفر الوفد المصري و سعد زغلول الى اوربا حرج خاصة و قد ساعد على اختيار هذا الحل أن الحكومة البريطانية اتخذت عدتها في مؤتمر الصلح ، و لكي يرفض مطالب مصر بل يرفض سماع هذه المطالب و استوثقت من أنه سيقر الحماية البريطانية في معاهدة الصلح ، و لم يكن لهذا الحل من العواقب ما يزيد سوءا عن تأجيج العداوة في نفوس المصريين بإبقاء سعد و صحبه في الاعتقال [1] .

و في 8 افريل 1919 اعلن الندوب السامي الجديد في تصريح له ان سعد زغلول و زملاءه سوف يفرج عنهم من معتقلهم في مالطة ، و سوف يسمح لهم بالتقدم بمطالبهم أمام أية جهة يريدونها [2] تبدلت الروح العامة بعد اذاعة هذا المنشور و شهدت مصر مظاهرات الفرح و السرور لم يسبق له نظير في تاريخها الحديث ، فقد عدت الأمة المصرية بحق ان الافراج عن سعد زغلول و صحبته هو نصر سياسي نالته من ميدان الكفاح القومي لان السلطة التي اعتقلت سعد و رفقاءه هي ذات السلطة التي اضطرت الى الافراج عنه ، و ترضية للثورة و مهادنتها لها ، فهو مكسب للثورة اذ لولا الثورة لما فرج عن سعد زغلول ، و لم يكد هذا النبأ يصل مسامع الناس حتى تألفت المواكب فورا تطوف في و الميادين هاتفة بحياة سعد و نصر الثورة استقلال مصر [3].

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص304.

[2] جاد طاه : **المرجع السابق** ، ص 286.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...،ص 308.

تعددت مظاهرات الفرح يومين 8 و 9 أفريل و لم تخلو من حوادث دموية وقعت ، فقد اعتدى الجنود البريطانيون على بعض المتظاهرين و أطلقوا عليهم الرصاص ، فقتل منهم عدد كبير حيث طالت المظاهرات جميع انحاء البلاد و قرى المصرية اشتركت فيها طبقات الشعب كافة فانتظمت العلماء و القساوسة الاقباط و كذلك انظم القضاة و المحامين و الاطباء و الاعيان و موظفي الحكومة و طلبة المدارس و المعاهد جميعا و كذلك طوائف العمال و الصناع ، الى الموكب كبير طاف الى بيت الأمة [1].

3 التنظيمات الثورية:

1/3 لجنة الوفد :

مع اولى خطوات الوفد لجمع التوكيلات بدأت البذور الاولى لأول تنظيمات ثورية في تلك الجماعات التي كانت تتصدى الصفوف لتنظيم جمع التوقيعات التي كان قوامها لفيف من الاعيان و التجار و المثقفين ، و كان من الطبيعي ان انطلقت الثورة ان تمضي هذه الجماعات مع زيادة اشتعال الثورة و الشعور القومي فتتزعم الصفوف كل في مكانه من الشعب في مواجهة و حكومته فتمثل من ثم اعماق الثورة و ابعاد رد الفعل في كل مكان تحل فيه ، و لقد واجهت هذه الجماعات بعد افراج عن سعد زغلول و سفر أعضاء الوفد وللحاق بركب سعد الى اوروبا ، مرحلة جديدة كان من طبيعي ان تتطور في ظلها ، في هذه المدة ، التي وقعت بين الافراج عن سعد زغلول و سفر بقية أفراد الوفد المقيمين بالقاهرة ، تشكلت لجنة الوفد المركزية طبقا للمادة 26 من قانون الوفد لجمع التبرعات لمساعدة الوفد في باريس و جمع المعلومات عن مصر لاستخدامها في الخارج للدعاية للقضية المصرية ، و لقد شاءت هذه اللجنة أن تشكل لنفسها لجانا فرعية في الريف و المدن لإمداد الوفد بالتبرعات المالية اللازمة ولم يكن لها بالضرورة ان تنسى الاعتماد على هذه اللجان الاولى في اداء مهمتها ، فقد كان من الطبيعي لهذه الجماعات لكي تضمن نجاحها ألا يفوتها على ان تعتمد على أعضاء هذه الجماعات الأولى في استكمال وجودها وأداء رسالتها بعد ان اكتسبت كيانا قوميا قياديا من لجنة الوفد المركزية [2] .

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص309.

[2] عبد العزيز رفاعي: **مرجع سابق**،ص 141،140.

2/3 الجهاز السري للثورة :

لم تمضي لجنة الوفد طويلا حتى اضطرت لأن تطور مهمتها الاساسية نحو العمل السياسي ، حيث كان الانجليز يقلقهم تماسك الوحدة القومية التي تلتف حوله في مصر ، كان يهمهم تحطيم هذه الوحدة ، و ازاء ذلك برزت الحاجة الى تدبير الاتصال بين اللجنة المركزية في مصر و الوفد ليطلع سعد زغلول على الموقف في مصر و تستطيع اللجنة المركزية من ناحية أخرى ان تتلقى توجيهاتها من زعيم الثورة فيما يجب ان يتبع حيال ذلك الموقف ، و لما كان ثمة وثابة وسلطة عسكرية جاء التفكير بالاتصال بين الطرفين عن طريق السر [1] .

3/3 تنظيمات الطلبة :

تنظيمات الطلبة او بما يسمى جيش الوفد ، كانت هذه التنظيمات تتخذ شكل لجان فكانت هناك لجنة طلبة الازهر و لجنة طلبة المدارس العالية و لجنة طلبة المعاهد و كانت تتخذ لها اسم نقابات هناك نقابة طلبة الاسكندرية و نقابة المدارس الاوروبية و كذلك نقابة طلبة المدارس المصرية الاهلية بين الاسلامية و قبطية ، حيث كانت تقيم اضرابات و لم تكن النقابات تابعة للوفد في المراحل الاولى للثورة ، فقد كانت تعمل بوحي من شعورها الوطني ، و كانت بعد ذلك تتبع التعليمات التي تصدر من القيادات المنظمة للمظاهرات ، و التي كان مقرها الأزهر حيث كانت التعليمات يلقاها مندوبون عن مدارس ليبلغونها الى زملائهم كما كانت الصحف تذيع انباء بعض هذه المظاهرات قبل مسيرتها و هي المظاهرات المنظمة التي تعرف كل طائفة فيها مكانها فلقد كانت الامتحانات الدراسية هي العريضة الوحيدة التي كان ينتهزها الانجليز للانتقام من هذا العنصر النشيط في الحركة الوطنية ، و لم يتعدى نشاطهم في الاضراب و المظاهرات على القطر المصري فقط بل تعد ذلك الى القطر الانجليزي حيث كانت مظاهرات و كذا اضرابات من طلبة المصرين الذين يدرسون في انجلترا و كانت يكتب على اوراق الامتحانات في انجلترا عبارات صادمة اذ كان يكتب في اعلى الورقة فليسقط الطلبة و مصطلحات اخرى تثير غيض الطلبة في المدارس الانجليزية في بريطانيا كان الطلاب يدفعون ضريبة النضال من أجل الوطن خسارة مستقبلهم و كذلك أرواحهم [2] .

---

[1] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق، 141.**

[2] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق** ، ص 172.

4/3 تنظيمات العمال:

أما تنظيمات العمال فهي النقابات ، حيث وصفها سعد زغلول بتاريخ 18 اكتوبر 1919 و ذكر انها مفيدة للحركة الوطنية ، عملوا على تنظيم النقابات و كانت هذه في البداية تابعة للطبقة البرجوازية بحكم ظهور بعض افراد هذه الطبقة بمظهر مدافع على أرباب العمال ازاء ارباب الاعمال و كان معظمهم من المحامين ، كان العمال قوة شعبية متحركة ذات نشاط في اواسط العمال لاسيما في الاسكندرية تجذبهم الى ساحة القيادة الوفدية من اجل مصلحة الوطن و تضمن من ثم عدم انحرافهم بما لا يخدم الثورة ، و لقد بلغ عدد النقابات 38 نقابة في القاهرة و 33 نقابة في الاسكندرية [1].

5/3 تنظيمات الموظفين :

ننتقل الى تنظيم اخر احدث أثر بالغا في حياة مصر السياسية و هدد الاحتلال ايما تهديد كانت هذه اللجنة لم تكن لها عمل في بداية الثورة ، فقد كانت الحركة قاصرة على العمال و الفلاحين و الطلبة و المحامين و فريق من الاعيان و ذوي المهن الحرة ، فقد حدث رد فعل شديد في نفوس الموظفين دفعهم الى القيام بحركتهم التي بدأ كأنما ارادوا صبغة التطرف ان يغطوا من سمعتهم الوطنية من سوء نتيجة موقفهم من الاول من الثورة ، عقدت لجنة الموظفين عدة اجتماعات في مكتب مدير ادارة المجالس الحسبية ، و كانت على اتصال مع ادارة الوفد ، كان نشاطهم في اضرابات كبير و في الاحتجاجات اكبر ، بعد افراج عن سعد زغلول و رفقائه كان اضراب هذه اللجنة عن اعمالهم و مشاركة الامة في هذا الحدث ، فسرعان ما اخذت الحركة تتسع و تتخذ لنفسها شكل اضراب عام جميع اصحاب المهن الحرة و ارباب الحرف ففي 15 أفريل اجتمعت لجنة الموظفين بوزارة الحقانية ، و قررت استمرار الاضراب مع الاحتجاج على بيان اصدرته الحكومة ألقيت عليهم مسؤولية عواقب الاستمرار في الاضراب ، ثم وضعت اللجنة تقريرا بمطالب الموظفين ، و رفعت مطالبات بذلك الى دعوة عقد مؤتمر عام يمثل طبقات الأمة ردا على ما قالته بعض الصحف الانجليزية على اضرابهم ، و قد عقد فعلا المؤتمر في الأزهر يوم 16 أفريل و حضره عدد عظيم قارب الثمانين ألف من جميع الطبقات [2].

---

[1] عبد العزير رفاعي: **المرجع السابق**، ص ص150-155.

[2] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق ،ص**177-183.

1/4 استمرار الثورة:

استمرت الثورة بعد الإفراج عن سعد زغلول و صحبه ، حيث لم تنقطع حوادثها و مظاهراتها و لم تنجح البلاد للهدوء و السكينة ، فأن روح الثورة كانت لا تزال تضطرم النفوس ، تعددت مظاهر الثورة في هذه المرحلة من تاريخها ، من استمرار للمظاهرات و ما تخللها من المصادمات بين المصريين و البريطانيين ، الى استمرار اضراب الطلبة و المحامين ، و تعددت الاعتقالات و المحاكمات العسكرية ، ولم تتبدل الحالة العامة بمواصلات حيث ظلت بين العاصمة و الأقاليم الاخرى متعذرة غير مستقرة ، و اعلنت السلطة العسكرية البريطانية لم تعد الحاجة الى الحصول على رخصة سفر و الغت القيود على السفر بالسكك الحديدية ، ولكن الجنود الانجليز واصلوا اعتدائهم على الافراد و الشعب المصري على المتظاهرين و غيرهم و استمرت المظاهرات ايام شهر ابريل حيث صدر بلاغ رسمي يوم 10 أفريل ان مجموعة من الجنود قتلوا حيث بلغ عددهم 5 جنود و أن الجنود بعد هذا الحادث اضطروا الى اطلاق الرصاص على المتظاهرين المصريين حيث قتل عدد كبير من المتظاهرين و مئات من الجرحى [1] زاد من دهشة الانجليز من أمر الثورة المصرية حين لمسوا بأيديهم انها ليست ثورة جزئية قوامها فئة او فئات قليلة من الشعب المصري ، و انما هي ثورة شاملة شملت كل طوائف الأمة قامت من كل ركن من اركان البلاد ، حينما شملت الطالب و الفلاح و الموظف و التاجر و المحامي و القاضي ، بل لقد اشترك فيها الثري و الاجير الكل بقلب واحد ، يتجهون الى هدف مسطر واحد شعارهم كلمة زعيمهم سعد زغلول " **الاستقلال التام أو الموت الزؤام** " و هناك مظهر في ثورتنا اسمى و أجل صراع في سبيل حريتها ، شعار سعد زغلول و سار وراءه الكل و هو " **الدين لله و الوطن للجميع** " برز اتحاد الاقباط و المسلمين ، ففي المظاهرات كان علماء الازهر و الى جانبهم القساوسة الأقباط و فوق رؤوسهم اعلام رسم الهلال و الصليب و في الأزهر و المساجد في القاهرة كان أبرز الخطباء هم العلماء و القساوسة و كانت القساوسة يرأسون الاجتماعات الوطنية التي تقام في المساجد كما كان العلماء يرأسون الاجتماعات التي تقام في الكنائس أي ان اختلاف الدين لا يخالف إجماع الثورة [2] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص315.

[2] فخري عبد النور : مذ**كرات فخري عبد النور دور سعد زغلول و الوفد في الحرة الوطنية**، تق مصطفى امين، تح يونان لبيب رزق، دار الشروق ، القاهرة ، (ب ت)،ص 58.

2/4 سفر الوفد الى باريس:

بعد تصريح الجنرال أللمني و اطلاق صراح سعد زغلول و اعضاء الوفد ، سافر الوفد المصري من القاهرة يوم 11 أفريل من سنة 1919 من القاهرة الى بورسعيد ، و منها أبحروا الى مالطة حيث أبحروا جميعا الى باريس ، و على ذلك صار الوفد الذي ذهب الى اوروبا موضعا لحفاوة الشعب من القاهرة الى بورسعيد حتى أقلعت الباخرة ، و في الحق ان الوفد لقي من تأييد الشعب له ماديا ما لم تلقه اية سياسة أخرى فقد أيده بالتوكيلات التي أكسبته صفة التحدث عن الأمة ، و أمده بالمال الذي ساعده على متابعة عمله في مصر و خارجها ، و بلغ مجموع المبلغ مائتي ألف جنيه ، و كان أكبر تأيد لقيه منذ شبت الثورة في البلاد [1].

استقل اعضاء الوفد الباخرة و رست بهم مالطا ، ثم توجهوا الى مرسيليا ثم الى باريس و عند وصولهم كان الرئيس الامريكي ولسن قد اعلن رسميا باعتراف حكومة امريكا بالحماية البريطانية على مصر [2] صدمت الثورة صدمة شديدة في شهر أفريل من سنة 1919 باعتراف ولسن بالحماية البريطاني على مصر في حين كانت الأمة تعلق الامال على مبادئ ولسن في تحقيق المصير للشعوب ، اغتبطت الدوائر الانجليزية بهذا الاعتراف و بادر دار الحماية في بلاغ لها بتاريخ 22 أفريل 1919 حينما اوردت الخبر رسميا ، قابل الشعب المصري هذا الخبر بالدهشة المقرونة بالمرارة و الألم و ألقى صدروه شيئا من الضوء على حقيقة مبادئ ولسن فاستبان انه لم يكن جادا فيها ، اذ كيف يتفق اعترافه بالحماية مع سبق ان جهر به في خطبه لا يجوز ان تنتقل من سيادة الى اخرى بمؤتمر دولي او باتفاق بين متنافسين و أعداء وأنه لا يجوز أن تساد الشعوب او تحكم إلا بمحض ارادتها و يجب ان يترك لكل شعب الحق في تقرير مصيره دون احراج او تهديد فكيف بحماية فرضت قسرا على مصر من دولة تعهدت نيفا بالجلاء عنها كيف يعترف بهذه الحماية في وقت طرقت مصر أبواب الصلح معترضة عليها ، مطالبة باحترام استقلالها التام ؟ فهل هذا الاعتراف هو التفسير العملي لما نادى به من حق الشعوب في تقرير مصيرها ؟ ام يراه قد نادى بتلك المبادئ لكي تطبق على الشعوب الغربية دون الشرقية ؟ [3].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** .... ، ،ص315.

[2] محمد حسين هيكل: **مرجع سابق**، ص 81.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....،ص328.

الواقع ان ولسن اخلف وعده للأمم و تغيرت مبادئ حين جلس على مائدة المؤتمر فصار أداة في أيدي المؤتمرين مملى الدول الاستعمارية التي تعتبر الشعوب المتوسطة و الصغيرة نهبا لها ، و مما لا شك فيه أنه وقع تحت النفوذ البريطاني صاحب اكبر نفوذ في مؤتمر الصلح فأصدر هذا الاعتراف تلبية لطب البريطاني ، دون تردد او ممانعة ، قوبل هذا الاعتراف بسخط الشعب المصري و استنكار ما ينطوي عليه من نقص في المبادئ التي اعلنها و مخادعته الشعوب في خطبه و بياناته السابقة ، و لكن الشعب لم يتخذ لهذا السخط مظهرا بارزا لكي لا يريد من تأمر خصومه عليه ، في حين ظل الطلبة طوال شهرى مارس و أفريل في اضراب فدعاهم الجنرال أللنبي العودة الى مدارسهم و لكنهم ظلوا على اضرابهم ، فأصدر بلاغا على شكل إنذار بقفل المدارس و لكنهم ظلوا في اضرابهم و زادت حدت المظاهرات اثر هذا البلاغ حيث تعرضوا بإطلاق الرصاص فأصيب كثير منهم [1] و حين ما نزل الوفد في باريس اقتنع بأن الدعاية هي غاية ما يستطيعونه ، و ذلك بأنهم وجدوا وفودا مثلهم ، قد ظنت كما ظنت مصر ان حق تقرير المصير امر جد ، وضع في شروط هدنة الحرب للجميع في أرجاء العالم كله ، فسبقهم الى باريس و أقامت على مقربة من المؤتمر ، و بعثت أليه بمذكرات و تقارير عن اوطانهم و حقهم في الاستقلال ، لكنه لم تصل الى شيء و لم يسمع اليها أحد و قد صنع رجال الوفد المصري ما صنع هؤلاء ، فبعثوا الى المؤتمر بمذكرات و تقارير عن المسألة المصرية ، ثم علموا ان مذكراتهم و تقاريرهم لا تتعدى سكرتيرة المؤتمر المكلفة بفرز الأوراق و الوثائق التي ترسل أليه ، فلا ترفع اليه منها الا كان وثيق الصلة بأعمال المؤتمر في وضع معاهدة الصلح ، ظل الصلح منعقدا ستة أشهر ، قضى وفد مصر قرابة نصفها بجواره من غير يتمكن من الاتصال به ، و حاول الوفد الاتصال بأعضاء المؤتمر خارج القاعة فلم يجد أحد من المسئولين ، ووضع مؤتمر مشروع المعاهدة مع ألمانيا و فيه اعتراف دولي بالحماية البريطانية على مصر ، كانت لطمه عنيفة تلقاها الوفد و تلقتها مصر مرة اخرى[2] عمد الوفد الى الاتصال برجال الفكر و القلم في عواصم اوروبا كسب عطفهم و تأييدهم للقضية المصرية ، حيث تم القاء المحاضرات و عقد اجتماعات عامة الغرض منها تنبيه الرأي العام و اظهار مدى صنيع الحلفاء بقرار غلب باب المؤتمر على الوفد[3].

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص327

[2] محمد حسين هيكل: **مرجع سابق**، ص 82.

[3] فخري عبد النور : **مصدر سابق** ، ص82.

كان لاعتراف مؤتمر الصلح و تصريح الرئيس الأمريكي مشروعية الحماية البريطانية على مصر كان له اثر كبير و أليم على نفوس المصريين ورأوا فيه اهدار لحقوقهم في ذلك المؤتمر على هذا الاخفاق لم يفت في عضد الامة و لم يزلزل عقيدتها بل استمرت فيه كفاحها في سبيل الاستقلال وأراد الانجليز امعانا في اضطهاد الحركة الوطنية حيث بعد هذا الاعتراف كرست السلطة البريطانية سياسة جديدة سياسة انتقام مطرد في انحاء بلا ، أخذت بين الجنود الانجليز لنهب القرى ، و أسفرت في اذلال المصريين و استخدمت كل وسائل النهب و الاعتداء [1].

سنحت فرصة انتهزها الوفد ، فقد ترامت الأنباء بأن الكونغرس الامريكي لا يؤيد الرئيس ولسن ، فيما انتهى اليه من معاهدة التي نظمت في مؤتمر الصلح و اعترافه بالحماية البريطانية على مصر ، فتحب الباب من جديد للأمل في مقاومتها لذلك أوفد الوفد احد اعضائه الى السفر نحو امريكا و اتصال بصناع القرار هناك و الدعاية اعلى قضية مصر في امريكا و جعل بعض اعضاء الكونغرس التحدث عن مصر و حقها في الاستقلال ،و كذلك كسب الوفد موقعة اجابية سوغت بقاءه في باريس ينتظر ما يسفر عنه الغد[2] ازداد صوت مصر و انتشر على السنة الخطباء و الصحف بما مهد السبيل لخدمة قضية مصر في امريكا ، وجدت من أرباب الوجاهة و النفوذ على اخذ هاتفه الدفاع عن استقلال مصر وإذاعة هذا الدفاع بين ذوي المكانة من ابناء جلدته و هو ، و بذلك فتحت ابواب الرجاء امام مصر في الرأي العام الاوروبي و الامريكي و اصبحت القضية المصرية بين ايدي الانجليز و الأمريكيين و الفرنسيين قادرين على صنع القرار حيث اعلن وزير الشؤون الخارجية بمجلس الامريكي مناسبة عرض معاهدة الصلح ان مصر من الوجهة السياسية ليست تابعة لتركية ولا بريطانيا ، و يجب ان تكون صاحبة تقرير مصيرها ، و قد انتهت مناقشات مجلس الشيوخ الامريكي حول معاهدة الصلح بعدم ابرامها فكان لهذا النبأ وقعه الحسن بين الوفد [3] كان هذا النقاش في مجلس الشيوخ الأمريكي مصير كبر صدمة لهذه المعاهدة لأن تخلي امريكا عن ضمان تنفيذها افقدها قوة كبيرة و كان بطريقة غير مباشرة مكسب للقضية المصرية [4].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص339.

[2] فخري عبد النور : **مصدر سابق** ،ص83.

[3] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق**، ص184،183.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص 352.

ان بيانات الوفد و نداءاته لم تجد صدى اقوى مما وجدته في مجلس الشيوخ الامريكي يرجع هذا الى طبيعة الظروف التي كانت قائمة في الولايات المتحدة الامريكية في ذلك الوقت ضد مؤتمر الصلح و معاهدة فرساي و عصبة الامم المتحدة ، فالأمريكيون من الأصل الأماني كانوا يعتقدون انها قاسية بلا حق او مبرر ، اما الأمريكيون من الأصل الايطالي فكانوا يبغضون رفض ولسن النازل عن ميناء فيومى ، و فضلا عن ذلك فأن جزءا كبير من الأمريكيون كان قد قبل الدخول في الحرب بعد ان أفهمه ولسن انه يخوض حربا ضد القضاء على الروح العسكرية الألمانية التي تشكل خطر كبير على حقوق الدول ، و بعد ثلاث اشهر من اشتراه في الحرب خاب أمل الشعب الأمريكي حينما اكتشف انه غرر به ليس من اعدائه و لكن من حلفاء و ذلك اثر ان علم وجود معاهدة سرية كانت قد عقدت بين هؤلاء الحلفاء لتقسيم غنائم الدول المستعمرة و ضمان ممتلكاتها و زيادتها ، و تحولت المرارة ضد فرنسا و بريطانيا على وجه الخصوص ، فقد بدأ واضحا ان معاهدة الصلح و عصبة الأمم قد أكدت لهاتين الدولتين ولايطاليا غنائمهما الجديدة و قوة قبضة هذه الدول الاستعمارية على الشعوب المهزومة ، و على ذلك نقم الشعب الأمريكي من الرئيس ولسن مهادنته للشر في مؤتمر الصلح برضوخه لسياسة الاوروبية ، و من الطبيعي كان لروح اعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي معادية لمعاهدة الصلح ، و كانت القضية المصرية احدى الوسائل التي اتخذت أداة في ذلك الوقت ، ففي 16 ماي ، عقب اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر ، فقد اتصل الوفد المصري بالوفد الأمريكي الذي جاء الى باريس لمساعدة الايرلنديين على نيل استقلالهم و عرف منهم الرغبة في تشديد النكير على الاستعمار البريطاني بذكر القضية المصرية الى جانب القضية الأيرلندية ، حيث زودهم بجميع المستندات و البيانات الخاصة بالقضية المصرية [1] لم يكن لانجلترا ان تكتفي بالاعتراف بحمايتها مصر في معاهدة الصلح فالحماية لا لتكون شرعية دوليا يجب ان يقبلها الشعب المحمي [2] و لقد كرس الوفد مهمته ان لا يجعل الشعب المصري يعطي هذه الموافقة أبدا و لجأ الى تحقيق ذلك الى وسيلتين الاولى رفع معنويات الشعب بأن القضية مازالت مفتوحة في الخارج و ثانية العمل على وحدة الأمة و الشعب المصري و عزيمتهم من ضعف المترددين و انتهازية الطامعين و الخائنين[3].

[1] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق**، ص212،211.

[2] محمد حسين هيكل: **مرجع سابق**، ص 84.

[3] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق**، ص 215.

ثانيا 1/:مفاوضات سعد زغلول – منلر:

1/1 لجنة ملنر في مصر :

ألفت انجلترا لجنة بقيادة لورد منلر[1] حيث قررت نقلها الى مصر من اجل التحقيق في اسباب حوادث التي وقعت في مصر ، و لتقترح ما تراه من حلول لتنظيم العلاقات بين مملكة بريطانيا و مصر [2] و في 22 سبتمبر 1919 أعن رسميا في لندن تأليف اللجنة برئاسة اللورد الفريد ملنر وزير المستعمرات ، و عقب سماع اعلان تأليف اللجنة ، قامت مظاهرات الاحتجاج عليها في مصر و الاسكندرية منذ أوائل شهر اكتوبر و فاضت الصحف بسيل من الرسائل متضمنة الاحتجاج عليها ، حيث ألفت مظاهرات كبيرة قامة بها الشباب هتفوا بسقوط هذه اللجنة و على اثر هذه الحوادث اصدر مجلس الوزراء قرار في 5 نوفمبر بمنع هذه المظاهرات حيث ارسل جيوش الى الاسكندرية لمنع المظاهرات ، و في مساء 14 نوفمبر 1919 نشرت دار الحماية بلاغا رسميا أعلنت فيه عن قرب لجنة منلر[3] و حددت مهمتها بأنها اقتراح النظام السياسي الذي يلائم مصر تحت الحماية و ان سياسة بريطانيا في القطر المصري هي المحافظة على حكومتها الذاتية تحت الحماية البريطانية و انشاء نظام حكومي ذاتي تحت حكم سلطان مصر و غرض بريطانيا مواجهة اي تدخل خارجي في مصر يهدد استقرارها ، على اثر صدور هذا البلاغ من دار الحماية قامت المظاهرات في العاصمة من يوم السبت 15 نوفمبر ، حيث استمرت المظاهرات بعد وصل منلر و هتفت بالاستقلال و سقوط لجنة منلر ، و ما ان علم المحامون قرب قدوم لجنة منلر حتى عقدوا جمعيتهم العمومية و قرروا بالإجماع على الاضراب عن العمل اسبوع ابتداء من اليوم التالي لحضور اللجنة ، حيث استأنفت السلطة العسكرية حركة القبض و الاعتقالات و ذلك عقب ان صدر من اللورد اللنبي منشور بالتحذير من التحريض على المظاهرات و تهديد كل من يحرض عليها و اخلال بالنظام بالمحكمة امام المحكمة العسكرية [4].

---

[1] الفرد منلر (23مارس–3 ماي1925) عمل في المحاماة و الصحافة و بدأ عمله السياسي سكرتيرا شخصيا لوزير موشر ثم عمل في مصر مع اللورد كرومر وكيلا للوزارة المالية و ثم اصبح مندوب سامي في جنوب افريقيا، انظر الى : محمد محسن،**مرجع سابق**،ص131.

[2] محمد حسين هيكل: **المرجع السابق** ، ص 84.

[3] عبد الكريم محمود غرابيه: **دراسات في تاريخ افريقيا العربية 1918–1958**، مطبعة جامعة دمشق،1960،ص34.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص ص 398–420.

لم استقر بلجنة منلر المقام أخذت تستدعي كل من أنست فيه الميل الى الانجليز ، فخشيت ان تستند اللجنة الى اقوال أولئك الخارجين على رأي الأمة ، و لذلك عمدت الى طريقة مبتكرة تذهب بمجهود اللجنة ، حيث اقرت اللجنة ان مجيئها الى مصر اوفدت من قبل الحومة البريطانية و بموافقة البرلمان البريطاني لأجل التوفيق بين أماني الأمة المصرية و المصالح الخاصة التي لبريطانيا في مصر مع الحافظة على الحقوق المشروعة التي لجميع الأجانب القاطنين في البلاد [1] ووجهت اللجنة بالمقاطعة منذ ان وطأت أقدام رجالها أرض مصر ، بل تنظيم عملية مقاطعة المصريين للجنة قد بدأت قبل ان تصل اللجنة الى مصر و تباشر مهمتها و قامت اللجنة المركزية للوفد جهود كبيرة من اجل مقاطعتها[2] و كما قوبل الوفد بمقاطعة دولية في مؤتمر الصلح قوبلت لجنة منلر في مصر بمقاطعة شعبية تامة ضده بشعار عدم التعاون ، و ثبت لديه يقينا الى ان مدى بعيد يسيطر الوفد على الحركة الوطنية السياسية و الى اي مدى بعيد يرفض المصريون التعاون مع المستعر [3] قوبلت هذه المقاطعة للجنة منلر بسرور الوفد في الخارج حيث في 16 اكتوبر 1919 ابعث سعد زغلول تلغراف يظهر فيه مدى سرور الشامل لأعضاء الوفد اثر مقاطعة الشعب المصري للجنة منلر [4] في يوم 12 ديسمبر 1919 اجتمع عدد عظيم من السيدات المصريات من المسلمات و القبطيات ، للاحتجاج على قدوم منلر حيث قامت السيدات بمظاهرات سارت من محطة مصر الى دار الأمة حيث تعرض لهن الجنود البريطانيون و طلبوا منهن التفرق فأبين و استمررن في المظاهرة ، حيث انظم الى المظاهرة جمهور من الموظفين و قرروا الدخول في اضراب عن العمل يوما واحدا احتجاجا على قدوم منلر و ايذانا بمقاطعته حيث قررت الوزارة انزال العقاب الشديد لكل من دخل في الاضراب من الموظفين و شمل هذا العقاب قطع علاوة الحرب [5] فصل كل موظف عن العمل فعدل الموظفون عن الاضراب و اكتفوا بالاحتجاج حيث كان سيل الاحتجاجات و اعلان مقاطعة اللجنة يتدفق على الصحف فأصدرت ادارة المطبوعات بلاغا تهديد الصحف بالتعطيل بمقتضى الأحكام العرفية [6] .

---

[1] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق**، ص 196،197.

[2] أمال السبكي، **مرجع سابق**، ص 31.

[3] طارق البشري : **سعد زغلول يفاوض الاستعمار** ، دراش الشروق، القاهرة 2011، ص30.

[4] عبد الرحمان فهمي: **يوميات مصر السياسية** ، تح يونان لبيب رزق، الهيئة المصرية للكتب، ،1993،ص128.

[5] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص427، 428.

[6] محمد حسين عبد الرحيم : **نظال شعب مصر 17988-1956**،منشأة المعارف ،(ب ب) ، 1970،ص104.

قضت لجنة منلر في مصر نحو ثلاث أشهر تدرس أحوال البلاد عامة و أسباب الثورة خاصة ، و تبحث في العلاج الذي تراه ناجعا لملاقاة الحالة الثورية ، و في المقترحات التي تعرضها الحكومة البريطانية في هذا الصدد ، غادر اللورد منلر في رحلة الى فلسطين ثم عاد الى الاسكندرية ، و أبحر منها الى انجلترا [1].

2/1 بداية المفاوضات سعد – منلر:

في حين فرغت اللجنة من اعمالها في مصر توجهت الى انجلترا و عند مغادرتها مصر كانت قد جمعت في اثناء مقامها معلومات عديدة من مصادر بريطانية و اخرى مصرية ، انتهزت الفرص الكثيرة لتعرف بنفسها و شعور الجمهور ، و قررت رأيها احسن سياسة توفق بين مصالح البريطانية و المصالحة المصرية ، لذلك كان اللورد منلر أقتنع اللورد منلر بصفة قاطعة الى ان مصر لن تتفاوض مع الانجليز إلا عن طريق سعد زغلول [2] فشلت محاولات بريطانيا أمام صمود الأمة من حقوقها في اللقاء مع مصر حول تنظيم الحماية ، و لم تجد مناصا من تغيير خطتها بإلقاء مع مصر في مفاوضات حول اقرار الاستقلال التام ، كانت بريطانيا تبحث عن مخرج بعد فشل لجنة منلر حيث وجدت الحل في المفاوضات ، حيث قام منلر بعد مغادرته مصر الى ارسال احد زملاء الى دعوة سعد زغلول الى المفاوضات في لندن فقابل سعد زغلول في ماي1920 ، حيث اظهر منلر استعداده للمفاوضات مع الوفد بدون قيد و لا شرط و انه اذا اقتضت مصر انجلترا بضمان مصالحا الخاصة فأنها سرعان ما تعمل على الاعتراف باستقلالها التام فاستقر رأي الوفد على قبول دعوته ، حيث وصل الوفد يوم 5 جوان 1920 فأخذ يتعرف على احرار الرأي السياسي و الكتاب في لندن و يحاول ايضاح وجهات النظر المصرية و قد اقام بعد بداية المفاوضات اقام في احد الفنادق في لندن و خطبا فيها احد خطاباته[3] تم اول لقاء بين الطرفين في 6 ماي حيث وجه كل واحد الى الطرف الاخر تجربة شهور الماضية ، فأن اخطر مشاكل المصريين حول مائدة اللقاء [4].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص451.

[2] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق**، ص252.

[3] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق**، ص225،224.

[4] محمد شفيق غربال : **تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية بحث في العلاقات المصرية الى عقد مقد معاهدة التحالف 1882-1986**، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1952،ج1،ص65.

في هذا القاء تحدث اللورد ملنر حول النظام الموجود حاليا في مصر و ذكر بماذا تروون تغيره موجه خطابه الى سعد زغلول ! فرد سعد زغلول نحن نريد نظاما برلمانيا تكون الحكومة فيه مصرية مؤلفة من حاكم و برلمان و وزارة لا مسؤولية امام هذا البرلمان [1] حيث رأى الجانب المصري ان تعترف انجلترا باستقلال مصر التام ، على انت تمنح مصر انجلترا الضمانات المعقولة لمصالحها ، في حين رأى الجانب الانجليزي ان تحل محل العلاقة القائمة على الحماية علاقة على معاهدة و على تحالف ان تستقل مصر و لكن يكون لانجلترا مركز خاص ، تحولت الصيغ الى نصوص فبدت الصيغة الانجليزية في مواردها ، و ظهر أن مشروع الانجليز كان ظاهره الاستقلال و الاعتراف به و باطنه الحماية و تعزيزها ، فدارت المحادثات بين الوفد و ملنر في اوقات تخللتها فترات كثيرة فاستمرت المحادثات طيلة شهر اغسطس ، و كانت المحادثات تدور حول مشروعين احدهما مصري و الثاني انجليزي و لقد جاء في المشروع المصر ان تعترف بريطانيا باستقلال مصر و تنتهي الحماية و الاحتلال العسكري و بذلك تسترد مصر كامل سيادتها الداخلية و الخارجية و تكون دولة ملكية ذات نظام دستوري ، و كذلك استغناء الحكومة المصرية عن الموظفين الاجانب ، تخفيف من الامتيازات الاجنبية الى حين الغائها ، تتعهد انجلترا بدفاع على القطر المصري بالمشاركة مع الجيش المصري ، تتعهد مصر بألا تعقد اي محالفة مع اي دولة بدون الاتفاق مع انجلترا ، مسألة السودان تكون موضوع خاص ، هذه المعاهدة صالحة الى 30 سنة كان مشروع المصري [2] اما مشروع البريطاني فكان مجموعة من شروط اولها تقبل مصر تعين بالاشتراك مع حكومة بريطانية مستشار مالي يعهد اليه صندوق الدية لحماية حقوق دائني مصر و يكون تحت تصرف حكومة مصر في جميع المسائل التي ترغب استشارته فيها و كذلك ، تقبل مصر بوجود موظف في حكومة الحقانية ، تمثيل مصري في وجود مندوب من بريطانية ، تعترف بوجود مركز و مكانة خاصة لبريطانية في مصر ، الموظفون البريطانيون و غيرهم من الأجانب عدا من ذكروا بالمواد السابقة تسوى حالتهم باتفاق خاص بين الحكومتين البريطانية و المصرية ، قضاء المحامين المختلطة الحالية أو ما يحل محلها عن الأنظمة المماثلة قائما و ينسحب هذا القضاء على المواد الجنائية و جميع الدعاوي الخاصة بالأجانب في مصر [3].

[1] محمد كامل سليم : **صراع سعد في اوروبا** ، مؤسسة اخبار اليوم، القاهرة ، (ب ت) ،ص 8.

[2] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق**، ص225.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** .... ، ص465.

ما يلاحظ على مشروع الوفد اثر هذا الانعقاد أنه اقر القاعدة العسكرية البريطانية أو بعبارة اخرى أقر الاحتلال الاجنبي مع تغير اسمه فقط ، لكن هذين المشروعين كان نصيبهما الرفض فقد رفض الوفد مشروع اللجنة ، و رفضت اللجنة مشروع الوفد ، و توقفت المفاوضات عقب هذا الرفض الثنائي ، ثم استؤنفت على ان يكون تعديل يسير في العبارات الواردة في المشروعين حيث ارسل ملنر مذكرة الى الوفد المصري كان فيه من القوانين الجديدة التي اقترحها اللولد ملنر اولا تعقد معاهدة بين مصر و بريطانية تعترف بريطانيا باستقلال مصر كدولة ملكية ذات هيئات نيابية و تمنح مصر بريطانيا الحقوق التي تلزم لصيانة مصالحا الخاصة و لتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الأجنبية لتحقيق تخلي تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ، تبرم هذه المعاهدة نفسها محالفة بين بريطانيا و مصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا ان تعضد مصر في الدفاع عن سلامة ارضها ، تتعهد مصر بأنها في حالة حرب تقدم بريطانيا مساعدة لها ، تمنح مصر الحق لبريطانيا في ابقاء قوة عسكرية ، تعين مستشار مالية بريطاني ابقاء على موظف في حقانية [1] عاد ملنر الى القول بأن بريطانيا لا يمكنها ان تتنازل على قاعدة حربية في مصر و هي منطقة استراتجية بالنسبة لبريطانية في منطقة شرق الاوسط ، و حجته في ذلك ان المحافظة على قناة السويس ضد الاعتداءات الخارجية مسألة حيوية بالنسبة لبريطانيا فذكر سعد زغلول ان الدول منذ 1882 وضعت لهذا القتال نظاما خاصا اكتفت فيه بأن تدافع على مصر و عن قناة السويس ، و منذ ذلك الوقت لم تتحرش اي دولة على مصر و في حين ان الهاجس الاولى كان في تركيا و المانيا الان ضعفت هذه الدول التي كنا نخشى غاراتها [2] اما مسالة السودان بقيت شائكة ، وقد ظهر أن اللجنة لا تريد مناقشة مركز السودان أو المساس بحقوق انجلترا فيه ، و اعتبرت مسألة مستقلة ، وفي الحقيقة انه عندما برزت مسألة استقلال مصر ، ارادت انجلترا الاحتفاظ بالسودان ، فقد مهد اللورد ملنر لهذه السياسة ، فأخذ يقلل بين روابط السودانيين بمصر ، حيث برز موقف سعد زغلول موقف خاص فكان من رأي سعد ان يترك السودان لاتفاق خاص ، بعد ان تتم تسوية مسألة مصر و كان تبريره لهذا الرأي ان مصر تستطيع بعد ان تستقر امورها ، الحصول على حقوقها كاملة في السودان[3] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ...، ص472.

[2] محمد كامل سليم : **مرجع سابق** ،ص14.

[3] علي ابراهيم عبده: **مصر و افريقيا في العصر الحديث** ،دار القلم ، القاهرة،1962،ص61.

مسألة العرش كانت هي المسألة الرئيسية التي تفاوض بشأنها الوفد المصري و كذلك لجنة ملنر البريطانية ، و كانت وجهات النظر الطرفين فيها حيث طلب سعد زغلول بخلع السلطان و اعلان الجمهورية و من جهة اللورد ملنر فهو حرج في خوض قرار تغير النظام الحاكم في مصر بل يريد لا مانع له ان تكون مصر دستورية او ملكية و انما تبقى على مبادئ الحكم السابق اي بطريقة اخرى يريد ملنر تثبيت الحماية بصفة اخرى ، فبعد ان انتهى الوفد و اللجنة في تبادل الآراء بخصوص القضايا التي تعرضت لها المفاوضات ، اتفق الطرفان على ان يقدم كل منهما مشروعا يتضمن ما فهمه من محادثة ، حتى اذا تم وضع المذكرتين تيسرت مقارنتهما بحيث يمكن اقرار النقط التي يجدان ان الاتفاق قد تم عليها ، و تعاد المناقشة في نقاط الاختلاف و لكن ما ان كادت وجهات النظر السابقة تتحول الى نصوص حتى ظهر الفارق في تباين الآراء جالية [1] لما عرض اللورد ملنر مشروعه على الوفد كان مفهوما ان لم يصرح بقبوله او بمعارضته ، لأن اللورد ملنر أخبر الوفد ان المشروع معروض بأن يقبل كله او يرفض كله ، و أنه اقصى ما يستطيع انجلترا الاتفاق مع الجانب المصري ، و قد اجتمع اعضاء الوفد للبحث فيما يجبون عليه اللورد ملنر ، فرأى منهم قبول المشروع مع ادخال تعديلات عليه ، و رأى فريق اخر رفضه جملة و تفصيلة و انتهى الرأي الى استشارة الأمة في المشروع ، قبل ان يقطع الوفد جوابه ، و أتفق الوفد على تأجيل المفاوضات مع ملنر حتى تتم استشارة الأمة المصرية بموجبات هذا المشروع حيث كانت الاستشارة في ذاتها مكسب للحركة الوطنية ، لأن رجوع من الوفد الى الأمة لمبدأ الأمة مصدر السلطة اساس نظام السياسي الصحيح ، كما انه السبيل لنهضة الأمة و تطويرها في الحياة القومية ، و هو أيضا تثبيت و توكيد لحقها في تقرير مصيرها ، و لقد كانت هذه الاستشارة ميدانيا لشرح المشروع ، و توضيح المبادئ الاساسية و الدستورية المرتبطة بالاستقلال و العلاقات الدولية بين الأمم ، ثم بحث الفوارق بين الاستقلال و الحماية ، مما كان له الأثر في استنارة الأفكار ، و دراسة الحقائق و النظم السياسة و الدولية ، فكانت الاجابة حيث فاضت الصحف بآراء الهيئات و الباحثين في مشروع المعاهدة ، فنشر الحزب الوطني تقريرا مسهبا معارضته و اظهار ما فيه من الحماية[2] حيث رفض المشروع لأن ظاهره استقلال و باطنه الحماية[3].

[1] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق**، ص263.

[2] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ص ص 479-485.

[3] محمد صبيح : **كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر و العشرين** ، القاهرة،1966،ص631.

قضى اعضاء الوفد المندوبين في مصر حوالي شهر لاستشارة الأمة في مشروع المعاهدة التي ابرم مع اللولد ملنر ، ثم غادروا مصر الى باريس أوائل اكتوبر من سنة 1920 ، و هناك اجتمع الوفد و أخذ يبحث في تقارير الأعضاء المندوبين عن نتيجة الاستشارة و استخرج من مجموعة تحفظات الأمة ما رأه هو مهما ، و أوفد اللورد ملنر مندوبا خاصا لدعوة الوفد الى موافاته بلندن لإتمام المفاوضات ، و على ذلك قرر الوفد تلبية الدعوة ، فسافر اعضاء الوفد الى لندن على دفعتين تحفظات على المشروع ، فرفض ملنر تحفظات و تمسك بقراره الاول اي قبول المشروع كله او رفضه كله ، حيث كانت التحفظات تقتضي الغاء الحماية و عدم ضمان مصالح الخاصة التي تمكن بريطانيا من تقديم ضمانات الازمة للدول الأجنبية للحصول على تنازلها عن حقوق الامتيازات ، و كذلك دخول مصر بصفة طرف متعاقد في الاتفاقيات المراد عملها مع الدول بشأن حقوقها في الامتيازات و الصفقات ، حذف تعين موظف بريطاني بوزارة الحقانية ، ان وجود نائب عمومي باختصاصاته العادية فيه الضمان الكافي للأجانب [1] وقد ادت عودة الوفد المصري الى باريس و رفض مقترحات ملنر الى انقسام الوفد اذ بهذا تفقد توازن الثورة ، فقد بدأت عقب اخفاق المفاوضات ظهور هذه الانقسامات بين القيادة الثورية تواجهه بريطانيا بشكل رجعي يقوده المعتدلون من الرجعيين عموما ، و لقد بدأت الثورة مرحلة جديدة منذ ان أخذت تواجه بريطانيا هذا التيار الرجعي و الحث على اقناعه بقبول السوية التي كانت على اقتراح من ملنر و في جوهرها عن طريق مفاوضات رسمية [2] .

2/ مفاوضات عدلي يكن و كريزون :

عدلي يكن باشا [3] لعبه دور في مفاوضات ملنر مع سعد زغلول وفي 1921 عرضت الوزارة على عدلي يكن فقبل على اساس المفاوضات مع انجلترا بالاشتراك مع سعد زغلول و ان يعرض اي اتفاق يصل اليه وفد المفاوضات مع انجلترا على الجمعية الوطنية [4] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **ثورة 1919** ....، ،ص ص508،505.

[2] أحمد شفيق باشا: **حوليات مصر السياسية ،مطبعة شفيق باشا**، القاهرة ، 1927،ج2 ، ص ص38-43.

[3] عدلي يكن باشا: ولد 1866 و نشأ بين اسرته ثم انتقل الى الاسيتنة و تعلم العلوم ثم عاد الى مصر تقمص عدة مناصب ثم عين في منصب الوزارة فكان وزيرا للخارجية ثم عين رئيس لمجلس الوزراء و كانت معه اتفاقية مع انجليز انظر الى : زكي فهمي،**مرجع سابق**،ص163.

[4] شوقي الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: **تاريخ مصر** ... ،ص 22،21.

على ان الاختلاف لم يلبث ان دب بين عدلي و سعد زغلول ، فعاد سعد زغلول من باريس الى مصر متهما عدلي بأنه صنيعة الانجليز ، و في خطاب له ذكر سعد زغلول ان اي مفاوضات تجرى بين عدلي و الانجليز لا تمني إلا أن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس و بهذا انقسم المصرين بين سعد زغلول و عدلي يكن في وقت كان الأمة في احوج لجمع شملها وراء وفدها الذي يفاوض دولة صعبة لها أطماعها المعروفة في مصر ، سافر عدلي مع وفد المفاوضات الى لندن مع اللورد كيرزن[1] و أرسل سعد اثنين من اعضاء الوفد للرأي العام البريطاني و اعضاء المفاوضات البريطانية ان عدلي ووفد المفاوضات المصاحبة لا يمثلون الرأي العام المصري ، و بالطبع كان هذا الخلاف بين الزعماء المصريين كفيلا بإضعاف موقف المفاوضين المضربين و انهىء الأمر بفشل المفاوضات ، وقد رأت انجلترا انه على الرغم من عدم الوصول الى اي اتفاق نهائي يفصل بين قضية مصر و مصالح بريطانية في المنطقة ، فان الغاء الحماية البريطانية على مصر أصبح أمرا لا مفر منه ، وقد رأى عدلي باشا ان اعتراف انجلترا بما وافق عليه الطرفان من حقوق لمصر كسب لمصر ، على ان تنحصر أية مفاوضات مقبلة في نقاط الخلاف الباقية ، و اذا فقد رحب بأن تصدر انجلترا تصريحا من جانبها تعترف فيه بحقوق مصر التي اتفق بشأنها و اذا وضع مشروع التصريح الانجليزي ، و قدمه اللورد اللنبي لحكومته لتقديمه بدورها للحكومة المصرية [2].

ثالثا :1/ تصريح 28 فيفري 1922:

فشلت مفاوضات عدلي و كريزن لأنها لا تحقق الغاية الوفد ، و كما رأينا أسوأ حالا من مشروع ملنر ان تحدد العلاقات بين مصر و بريطانيا لمدة أربعة عشر عام وذلك بعد ان انتحلت عنوان جديد هو تصريح 28 فيفري المشهور ، و معنى هذا ان البلاد تأخرت بهذا التصريح خطوة عما وصلت اليه و هذا التطور الذي كسبته القضية المصرية بانقسام قياديها و من غريب ان اصحاب عدلي الذين رفضوا مشروع كريزن هم انفسهم من قبلوا بتصريح 28 فيفري [3].

[1] جورج كريزن: شخصية بريطانية إلتحق بكلية اكسفورد حتى 1882، تولى مناصب عدة منها مساعد وزير في شؤون الخارجية انظر الى : محسن محمد ،**مرجع سابق**،ص166.

[2] شوقي الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: **تاريخ مصر** .... ،ص23،24.

[3] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق** ، ص343.

فور عودة عدلي ، بدأ اللنبي يراسل كيرزون محذرا من احتمال نشوب ثورة من جديد اذا استبقت بريطانيا الحماية على مصر و لم تسلم بمبدأ استقلالها ، ثم أرسل اليه في 6 ديسمبر يذكره بفكرة عدلي يكن ، ان تنفذ بريطانيا من تلقاء نفسها الخطة الواردة بمشروع كيرزون " **من المستطاع تأليف وزارة تكون مستعدة للعمل معنا**" و ان الحماية حالة يبغضها المصريون و هي لا تفيد بريطانيا و لا قيمة للمفاوضات مع الدول الأجنبية ، و هذه الفترة كانت التدابير تجري في ابعاد سعد زغلول و ضرب الوفد و منع اجتماعاته و مصادرة نشراته ، اي فرض الغياب السياسي عليه على الساحة السياسية في مصر ، حيث انذرت سعد و رفقائه بعدم مشاركة في اي نشاط سياسي و ان تكون اقامتهم في الريف ، لكن تلقى هذا القرار بالرفض من جهة اعضاء الوفد و على هذا تم اعتقالهم و نفيهم مرة اخرى الى السيشل في ديسمبر من يومه الثالث و العشرين أمكن السلطات البريطانية ان تسيطر على موقف مؤقتا على كبح المظاهرات ، و فذلك الوقت كان اللنبي في محادثات مع السلطان فؤاد حول تشكيل وزارة جديدة من المعتدلين ، حيث ارسلت السلطة البريطانية برسالة تفسر فيه ان ما تطلبه بريطانية من ضمانات ليس مقصودا به ابقاء الحماية على مصر ، وان وجود مستشار بريطاني للحقانية و اخر على المالية ليس مقصود به استخدامها للتدخل في شؤون مصر و انما الاتصال ألازم لحماية مصالحها ، و ان الحكومة البريطانية لن تستعمل الضغط على حرية المصريين تأييد لمعادة ما، بل هي مستعدة ان تلغي الحماية و تعترف باستقلال ذات سيادة دون انتظار لعقد معاهدة و يمكن انشاء برلمان مصري تسأل الوزارة أمامه ، كما يمكن اعادة تكوين وزارة خارجية مصرية و ان المندوب السامي سيلغي الأحكام العرفية فور صدور قانون التضمينات ، و يمكن وقف تطبيقها في جميع الأمور الماسة بحرية المصريين في استعمال حقوقهم السياسية حتى يتم الغاؤها ، و أنه مع قيام هذه الحالة الجديدة يمكن اشتراك الحكومات في عقد اتفاق حول عدة امور [1] كان لصدور تصريح 28 فيفري 1922 قدم اللورد اللنبي حينما انتهت مهمته ، قابل السلطان و عقب وصوله مباشرة قدم له وثيقتين اولاها كتاب منه اليه و ثانية تصريح المذكور سلفا ، و بمقتضاه اعلن بريطانيا انتهاء الحماية البريطانية على مصر و ان تكون دولة مستقلة ذات سيادة و بهذا تم الغاء الاحكام العرفية التى اعلنت عام 1914 [2].

[1] طارق البشري : **مرجع سابق**، ص50،51.

[2] جاد طه ، **مرجع سابق**، ص310.

و على اثر هذا التصريح فقد حكم على العلاقات المصرية البريطانية بأربعة عشر عاما تالية اي ان رغم التصريح في الغاء الحماية إلا ان التبعية للبريطانية تبقى لمدة المحددة بأربعة عشرة عام ، بالإضافة الى ثلاثة مبادئ اولها انتهاء الحماية البريطانية و الغاء الاحكام العرفية و استقلالية مصر و ذلك فور اصدار قانون التضمينات ، و بموجبه تحتفظ بريطانيا بما يلي تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر [1] الدفاع عن مصر من كل اعتداء او تدخل خارجي بالذات او بالوساطة ، حماية مصالح الاجنبية في مصر و حماية الاقليات [2] مع ابقاء الحال على ماهر عليه حتى تبرم هذه الاتفاقية ، ثم صدر تبليغ بريطاني الى الحكومات الأجنبية عامة تضمن اخبارها بالإنهاء للحماية و الاعتراف بمصر كدولة مستقلة ذات سيادة ، و اعادة وزارة الخارجية و تمهيد الطريق لتبادل التمثيل السياسي و القنصلي ، ثم ذكر انها الحماية ليست من شأنه أي يتغير الحالة الحاضرة فيما يختص بمركز الدول الأخرى في مصر ذاتها...ولذلك فهي بريطانيا ستتمسك دائما باعتبار العلاقات الخاصة بينها و بين مصر ...مصلحة بريطانيا اساسية و تعد حكومة جلالة الملك كل محاولة من دولة اخرى للتدخل في شؤون مصر يعد اعتداء و ان بريطانيا سوف تتدخل ، و في 4 مارس 1921 وجه اللنبي مذكرة الى مستشارين البريطانيين بالوزارات المصرية تتضمن تعليمته لهم بمناسبة التعديلات الأخيرة و تتلخص تلك التعليمات في : ان ادخال نظام المؤسسات البرلمانية في مصر ، يتضمن مسؤولية الوزراء أمام الهيئة النيابية المنتخبة ، و هي مسؤولية لا تتفق مع اي تقييد لسلطة الوزراء التنفيذية ما دامت تلك القيود لا تستند الى الدستور أو القوانين المصرية أو معاهدة ما، في مثل هذه الظروف يتطلب من المستشار البريطاني تحديد جديد ، فبعد ان كانوا يقتسمون المسؤولية مع الوزراء أن الأوان لكي تصبح تلك المسؤولية ملقاة على الزير وحده يراه ضروريا و تنحصر مهمة المستشار بذل النصيحة للوزير على انه من المفهوم ان الوظائف الحالية للمستشار المالي باقية على حالها بالنسبة للقروض الخارجية و الايرادات و قد ابغ هذا التصريح الندوب السامي الى السلطان مصر و معه تبليغ لم يخرج مفاده عن مشروع المذكرة التي سبق ان أعدها اللنبي و أرسلها الى مصر [3] .

---

[1] يوسف النحاس : **صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث و مفاوضات عدلي يكن** ، مطبعة مصر ،القاهرة،1951،ص39.

[2] راشد البارودي : **مجموعة الوثائق السياسية المركز الدولي لمصر و السودان و قناة السويس** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1952،ص128.

[3] طارق البشري : **مرجع سابق**، ص52.

تلك كانت جملة الوثائق البريطانية الأساسية التي رسمت أسس العلاقات بين البلدين في المرحلة المقبلة ، و مجمل الامر ان أنهيت الحماية و اعترف باستقلال مصر على اصرح ما كان سعد زغلول يطالب في مفاوضاته مع منلر بشأن هذه النقطة ، كما اعترف بحق مصر في تبادل التمثيل السياسي و القنصلي مع الدول الاخرى ، و اقامة نظامها الدستوري ، امور تتعلق بصميم الوضع الدولي السياسي لمصر و العلاقات المصرية البريطانية ، أما النظام البرلماني فهو و ان كان نظريا لا يمس هذا الوضع لكنه يعبر عن اوضاع مصر الداخلية ، و من جهة الثانية ان الضمانات التي اقرتها التصريح هي ضمانات مؤقتة تمليها الأوضاع الدولية الداخلية و الخارجية و من جهة ثالثة فان الانجليز احتفوا بهذا التصريح بجملة تحفظات تمنحهم مستقبلا امكانية تصرف سبه طليق حسبما تتراءى لهم مصالحهم في الظروف [1] .

ان هذا القدر الذي ناله المجتمع المصري اثر تصريح 28 فيفري ، وواضح انه لا يتكافأ مع تضحيات الشعب المصري ، ولا مع أمانيه الوطنية التي هب لتحقيقها عقب الحرب العالمية الاولى كان من الطبيعي ان يقابل الشعب اعلان التصريح بالفتور و الاعراض و ألا ينخدع بإعلان الاستقلال ، و مناداة للسلطان فؤاد ملك على مصر ، اعتبار ذلك عيدا وطنيا ، كان الناس في الشوارع و الميادين و كانوا يهتفون بالاستقلال التام و لكن صياحهم و هتافهم لم يكن دليلا على اقتناعهم بصحة ما يشاهدون ، في هذه الظروف استؤنفت حملة الاغتيالات على الموظفين الانجليز التي بدأت تطال كل افراد الجالية البريطانية ، و كانت هذه الاغتيالات تسبب ذعرا شديد في نفوس الجالية البريطانية بوقوعها في النهار جهارا نهارا [2] وقف الوفد و سعد زغلول ضد تصريح 28 فيفري ، وقفة عنيفة اعتبره سعد في احدى خطبه أكبر نكبة على البلاد و ذكر في خطبة اخر له واصف هذا التصريح " **نحن الوطنيون لا نعتبره الا خيانة كبرى للبلاد** " حصل ان الموقف السياسي من حدث ما ليختلف عن الموقف التاريخي من الحدث ذاته ، الموقف الاول ينظر الى حدث لم يكتمل و لم يتحدد بعد نوع الاثار المرتبة عليه و حجمها ، و الثاني ينظر الى حدث تكامل بآثاره و نتائجه ، الاول ينظر اليه من خلال ما قبله و ما يعاصره و الثاني ينظر اليه ما قبله و ما يعاصره و ما بعده [3].

[1] طارق البثري : **مرجع سابق**، ص53-55.

[2] عبد العظيم رمظان: **مرجع سابق**، ص362.

[3] طارق البثري : **مرجع سابق**، ص60.

كان سعد زغلول و الوفد دائما مشدودين البصر الى الاحتلال لا الى الحماية فحسب و الفرق بين الحماية و الاحتلال في السياسة المصرية وقتها هو الفرق بين الاحرار الدستوريين الوفد ... و أصل الاستعمال البريطاني لمصر هو الاحتلال العسكري لها ، الذي أمكن تنفذ السلطات البريطانية الفعلية الى اجهزة الحكم في مصر ، لذلك كان شعار الحركة الوطنية منذ نموها بعد الاحتلال و من بداية القرن العشرين شعار الجلاء لتواجه به الاحتلال ، و استمر ذلك حتى فرض الحماية على مصر ، فكان موقف الوفد و سعد زغلول هو الاستقلال لا انهاء الحماية فحسب ، حيث افرج عن سعد زغلول في 28 من مارس 1923 من معتقله من جبل طارق الى فرنسا للاستشفاء و بعدها اطلق سراحه فعاد الى مصر [1] .

2/ دستور 1923:

لقد جاء الدستور الجديد استرداد لحقوق الشعب السياسية التي كان قد سلبها الاحتلال قيل فإذا كانت الأمة المصرية نفسها قد سبق ان قررت مالها من الحقوق العامة بدستورها الذي أقره مجلس النواب عام 1882 على ما اكتسبه البلاد من الحقوق السياسية العامة فألغى النظام البرلماني الصحيح الذي كان قائما و أقام مكانه نظام جديد مكانه ، و انها هي التي اعادت الدستور فان كان لابد من اعتبار الدستور المصري منحة من جهة الواقع منحة الانجليز أما من ناحية القانون فان انجلترا لم تعد تملك مركزا يسوغها الى تحديد هذا الدستور فمكانها في مصر اصبح غير شرعي و لا يعترف القانون له بأي حق [2] أخبرا و بعد محاولات مستمرة صدر الامر الملكي بدستور في 19 أفريل 1923 حيث لم يتوقع احد صدور الدستور في ذلك الوقت لمعارضة الملك فؤاد لهذا الامر ، و لكنه وقعه تحت ضغط الحوادث حيث جاءت قواعد الدستور الجديد على النحو التالي : قرر في اول مولده ان مصر دولة ذات سيادة و هي حرة مستقلة و ملكها لا يتجرأ ولا ينزل عن شيء منه ، و حكومتها ملكية وراثية و شكلها نيابي ، و اقر ان جميع السلطات مصدرها الأمة ، قرر مبدأ المساواة بين المصريين فهم لدى القانون سواء ، حق ولاية المناصب مقصور على المصريين و لا يولى احد من الاجانب على المناصب السامية [3] .

---

[1] طارق البشري : **مرجع سابق**، ص ص 60-63.

[2] عبد العزير رفاعي: **مرجع سابق**،ص289.

[3] جاد طه : **مرجع سابق**،ص312،313.

جاء فيه كذلك الحرية الشخصية و حرية الاعتقاد و الرأي مكفولة ولا يجوز القبض على اي انسان و لا حبسه إلا وفق احكام القانون ، حرية الصحافة ، حضر نفي اي مصري من الديار المصرية ، قرر الدستور حرمة المنازل ، التعليم الزامي و مجاني للمصريين ، قرر حق الاجتماع و تكوين الجمعيات[1] و لكن كل هذا كان شكلي ما دامت موجودة الاحكام العرفية[2] .

تدخل المندوب السامي في مشروع الدستور يحث قام بإلغاء المواد التي تتعلق بالسودان بلغ هذا التدخل على شاكلة إنذار نهائي ، طلب فيه المندوب البريطاني حذف المادة 29 من المشروع التي كانت تنص على ان الملك يلقب بلقب ملك مصر و السودان و كذلك المادة 145 التي كانت تنص على أحكام الدستور تجرى على المملكة كلها عدا السودان ، فمع انه جزء منها إلا ان نظام الحكم فيه يقرر بقانون خاص ، حيث برر تدخل المندوب الى ان قضية السودان من المسائل المحتفظ بها في تصريح 28 فيفري ، طال الاخذ و الرد و انتهى بتقديم انذار بريطاني بأنه اذا لم تقبل وجهة النظر البريطاني و المتمثلة في وجهة المندوب البريطاني في مصر في اربعة و عشرين ساعة فأن بريطانيا تسترجع كامل حريتها في العمل ازاء الحالة السياسية في السودان و مصر حيث انتهت الازمة بالاتفاق على ان يصدر الدستور محتويا نصين : اولا يبين اللقب الذي يكون للملك مصر بعد ان يقرر المندوبين المفوضين نظام الحكم النهائي و الثاني ان تجرى أحكام الدستور على الملكة المصرية بدون ان يخل ذلك مطلقا بما يضر بحقوق مصر في السودان رغم ان واضعي الدستور 1923 وضعوا امام ابصارهم ان يحقق المساواة الكاملة للمصريين أمام القانون ويكفل الحريات الشخصية للأفراد لكن أخذ الكثيرون بعد ذلك على واضعي الدستور أنهم نقلوا عن الغرب دون ان يعلموا حساب الفروق بين اوضاع مصر و المصريين في ذاك الوقت و بين الأوضاع في البلاد الغربية ، على الرغم من فصل الدستور بين السلطات الثلاث التشريعية و القضائية و التنفيذية ، فقد اعطى الملك حق حل البرلمان قبل ان يستكمل الخمس سنوات التي نص عليها الدستور و الدعوة للانتخابات جديدة و قد استخدم القصر هذا الحق كلما تعارضت مصالحة مع الوزارة القائمة التي يسندها البرلمان ، فكان سلاحا مصوبا ضد الوزارات الوطنية التي حاولت التصدي لرغبات القصر و اعتداءاته على الحقوق الدستورية للشعب [3].

---

[1] جاد طه : **مرجع سابق**،ص ص220،219 .

[2] صفاء عبد الوهاب المبارك:" **بريطانيا و مصر 1919-1955**" ، مجلة المؤرخ العربي، ع25،بغداد ،1986،ص30،29.

[3] شوقي الجمل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: **تاريخ مصر...** ،ص28.

الفصل الرابع :سعد زغلول ما بين 1923 الى 1927

اولا :وزارة سعد زغلول

ثانيا :مفاوضات سعد زغلول– مكدونالد

ثالثا :سعد زغلول في ايامه الاخيرة

اولا :وزارة سعد زغلول:

عاد سعد زغلول من منفاه ليواجه معركة الانتخابات النيابية وفقا لما جاء به الدستور في صورته الأخيرة التي صدر بها المرسوم الملكي ، وما كان عليه إلا ان يواجه هذا الواقع ، وليكن السبيل الى استكمال الاستقلال من خلال كسب الانتخابات و رئاسة الحكومة السبيل الامثل لاستقلال البلاد و ذلك بتعديل الدستور خاصة بعدما قد سلم بما جاء في تصريح 28 فيفري دون ان يسلم بشرعيته ، و لم يكن لسعد زغلول هم بعد العودة من المنفى إلا ان يفوز بمعركة الانتخابات و قد عاد الى مصر و لم يبقى إلا عشرة ايام وان تجري انتخابات النواب ، و ما كان يغيب عنه ان الانتخابات توكيل جديد من الأمة لا مكان لتوكيل الأمة السابق للوفد معه ، و ما عليه ان يخوضها بكل ما اوتي من قدرة و جهد ليثبت مكانة الوفد في الأمة و كان عليه ان يسعى الى شمل الشقاق و توحيد الصفوف ، و يظفر امام مناوئيه و أمام الملك و الانجليز بإجماع الأمة على قيادته لتحقيق ما ينشد اليه [1] جرت أول انتخابات تطبيقا للدستور الجديد حيث اكتسح الوفد برئاسة سعد زغلول الانتخابات محققا اغلبية المقاعد من مقاعد النواب [2] حيث جرت هذه الانتخابات في جو من الحرية المطلقة ، و لم يتدخل فيها رجال الإدارة ، حيث سقط فيها رئيس الوزراء في دائرته الانتخابية امام المرشح من الوفد سعد زغلول [3] أكدت الانتخابات زعامة سعد زغلول من جديد ، فقد فاز الوفد بمائة و خمسة و تسعين مقعدا من بين مائتين و اربعة عشر مقعدا بنسبة تفوق 90 بالمائة من عدد المقاعد [4] .

كان من البديهي ان يدعى سعد زغلول الى تأليف الوزارة الجديدة لأنه صاحب اغلبية المقاعد في المجلس النيابي ، و قد عارض هذه الفكرة فريق من الوطنيين لأنهم ألفوا منذ عام 1881 ان تكون الوزارات المصرية خاضعة للنفوذ الانجليزي ، و من الطبيعي انهم لا يحبون ان تخضع وزارة برئاسة سعد زغلول لهذا النفوذ ، كانوا يرون الوزارة الجديدة ستكون وليدة الأمة مستمدة سلطتها من هذه الارادة وحدها ، ولا تأثير للانجليز على نفوذها اي عهد لم تألفه البلاد في انشاء نظام حكم جديد بقيادة سعد زغلول للوزارة [5].

---

[1] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص204،205.

[2] صلاح منتصر : **مرجع سابق**،ص32.

[3] فخري عبد النور : **مصدر سابق** ،ص416.

[4] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص206.

[5] قدري قلعجي : **ثلاث اعلام من اعلام الحرية**، دار الكتاب العربي ،بيروت،(ب ت) ص 457.

كانت الوزارة طبقا لأوضاع السليمة الحرة وكالة عن الشعب ، و قد أعلن الشعب في الانتخابات أنه يولى الوفد ثقته ، فصار من حقه ولاية الحكم ، و هنا عرضت في ميدان البحث و المناظرة مسألة تناهت في دقتها ، هل يقبل سعد زغلول رئاسة الوزارة ؟ او يدعها لأحد من انصاره أو من غير حزبه ممن يثق به ، و يقتصر على زعامة الحركة الوطنية ؟ وقد تردد سعد بين الرأيين ، و لم يعلن أيهما يرجحه و يعمل به ، و كان بعض خاصته يرى ان يتنحى عن رئاسة الوزارة لأنه ولو ان الاوضاع الدستورية تجعل الحكم حقا للأغلبية إلا أن هناك حالة تعترض هذه الأوضاع و هي وجود الاحتلال الأجنبي في البلاد ، و له من غير شك نفوذه على الحكومة خاصة بعد تصريح المشئوم 28 فيفري و أخذت به بريطانية جملة من الصلاحيات ، وليست من مصلحة البلاد ان يحتلها الأجانب ولا تزال تجاهد لإجلائه ان يتولى الحكم زعماء الحركة الوطنية المتمسكة بمبادئهم في الجهاد حتى يجلوا الاحتلال ، لأن ولايتهم الوزارة تجعلهم يصطدمون بالاحتلال و طلباته ، و يميلون في غالب الى مجاراته في معظم طلباته ، فيسلمون له ، و هذا من شأنه اضعاف الروح الوطنية ، أو يصطدمون به ، و بذلك يكشفون عن ضعف البلاد ممثلة في الزعامة الوطنية ،اذ كيف يكون مسلك الزعامة في الحكم مع بقاء الاحتلال قائما في البلاد ؟ أو تنذره من بالجلاء و ماذا يكون العمل اذا لم يكترث لهذا الانذار ؟ فالمذهب الذي يقول بإبعاد زعماء الحركة الوطنية عن الحكم مع قيام الاحتلال أو الأوضاع التي تولدت عنه ، يرى صونا لسلامة الحركة الوطنية و تجنيبها من الانزلاق بالبلاد الى تساهل بإزاء الاحتلال و اوضاعه[1] .

كان اسم الوفد أصبح على كل لسان ...الوفد سيسافر..الوفد قبضوا عليه...الوفد نفوه...الوفد سيعود...الوفد عاد وبسبب هذا الوضع أحس سعد زغلول أنه ليس حزبا ، بل هو ممثلة الأمة ووكيل قضاياها و لكن بسبب ظروف الانتخابات فقد كان ضروريا ان يخوضها باعتباره حزبا و ان لم يعلن تكوينه [2] كانت المقابلة مع ملك فؤاد بعد ظهور نتائج انتخابات النواب ظهر يوم 19 يناير 1924 و استمرت هذه المحادثة حوالي نصف ساعة ، كان الرئيس الجليل محل عطف و رعاية الملك ، حيث اجل البث في مسألة تأليف الوزارة الى ما بعد عودة جلالة الملك من رحلته من احدى السفريات ، حيث ثار الجدل حول تأليف سعد زغلول للوزارة [3].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية ثورة سنة 1919**، دار المعارف ، القاهرة، 1987،ص175.

[2] صلاح منتصر : **مرجع سابق**،ص32.

[3] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص206.

كان سعد زغلول اكثر ادراكا للموقف من غيره ، فمن خلال القنوات الشرعية و الدستورية و من ورائه اجماع الأمة يستطيع ان يفاوض سعد زغلول الانجليز و يستطيع ان يصون الدستور و يحميه من العبث ، و أن يقف من نصوصه الغامضة ما يطوعها لمصلحة الأمة ، ولا أن ينسى أن المعركة القادمة أمامه ، و عليه ان يواجهها [1].

ان النظام الدستوري يقتضي أن يتولى رئاسة الوزارة زعيم الغالبية التي اختارها الشعب في انتخابات حرة ، لأن هذا هو أساس الحكم الديمقراطي أو حكم شعب ، و الشعب يستشعر في ظل هذا النظام بأن ارادته محترمة نافذة في اختيار رئيس وزارته ووزرائه ، وهذا هو الفارق بين الحكم الدستوري و الحكم المطلق [2] كان هذا تصريح سعد زغلول لأحد مراسلين الانجليز بضرورة الالتزام بالقواعد الدستورية ، و بهذا وضع الملك امام الامر الواقع [3] حيث عهد الملك الى سعد زغلول تأليف الوزارة و إرسال اليه في هذا الصدد كتابا بتاريخ 28 يناير 1924 حيث قال فيه الملك لسعد زغلول لما كانت أمالنا و رغباتنا متجهة دائما نحو اسعاد شعبنا و رفاهته و بما ان بلادنا تستقبل الآن عهدا جديدا من أسمى أمانينا ان تبلغ فيه ما نرجو لها من رفعة الشأن و سمو المكانة و لما انتم عليه من الصدق و الولاء و ما لنا فيكم من الثقة التامة قد اقتضت ارادتنا توجيه مسند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة لعهدتكم ، و أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للأخذ في تأليف هيئة الوزارة و عرض مشروع هذا التأليف علينا لصدور مرسومنا العالي به ، و نسأل الله جلت قدرته ان يجعل التوفيق رائدنا فيما على بلادنا بالخير و السعادة و انه سميع مجيب ، و مما يلاحظ في كتاب الملك انه لم يجعل من اسباب تكليفه سعدا بتأليف الوزارة أنه نال ثقة الأمة في الانتخابات ، بل لم يشر اليها اطلاقا و اقتصر كتابه على العبارات التقليدية التي تكتب لمن يختاره ولي الأمر لتأليف الوزارة ، و لعل الملك أراد بهذا الاغفال المتعمد ان لا يعترف بالأساس الدستوري لقيام الوزارات و سقوطها ولا يعترف بسلطة الأمة و بحقها في اختيار حكامها ، وقد أكمل سعد هذا النقص في جوابه الى الملك ، اذ جعل أول سبب لولايته الحكم احترام ارادة الأمة و ارتكاز الحكومة على ثقة وكلائها حيث ذكر سعد على كتب الملك بقبوله تأليف الوزارة و بيان برنامجها ، و بيان أسماء من اختارهم لمعاونته[4].

---

[1] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص207.

[2] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** .....،ص174.

[3] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص209.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ....،ص179.

كانت وزارة سعد زغلول أول وزارة شعبية في مصر في ظل نظام دستوري و انتخابات حرة حيث كان اعظم دليل على حريتها أن سقط رئيس الوزراء أمام مرشح الوفد[1] وبعد اقامة الوزارة عرض سعد زغلول برنامجه في السعي لاستقلال مصر استقلالا تاما و اصلاح شؤونها الداخلية حيث استهل حديثه " ان الرعاية السامية التي قابلت بها جلالتكم ثقة الامة و نوابها بشخصي الضعيف ، توجب علي ، والبلاد داخلة في نظام نيابي يقضي باحترام ارادتها و ارتكان حكومتها على ثقة اشكال الوزارة التي شاءت جلالتكم تكليفي بتشكيلها ، من غير ان يعتبر قبولي لتحمل اعبائها اعترافا بأية حالة او حق استنكره الوفد المصري الذي لا ازال متشرفا برئاسته ...الخ" [2].

اصبح الملك في مواجهة سعد زغلول دون حليف ، و ان لم يلق سعد بالا الى حياد الانجليز و كل ما يعنيه توطيد الحكم الدستوري ، فلم يقبل تدخلا من الملك ولا من الانجليز ، حتى كان الخلاف على اختيار أعضاء مجلس الشيوخ المعينين ، و كانت حجة الملك أن المادة 74 من الدستور تنص على ان يؤلف مجلس الشيوخ من عدد من الاعضاء يعين الملك خمسهم و ينتخب الثلاثة الاخماس الباقون بالاقتراع العام على مقتضى أحكام قانون الانتخاب ، الا ان سعد زغلول رد هذا الحق الى الوزارة بنص المادة 47 من الدستور و هي ان كل عمل يعمله الملك و تكون له علاقة بشؤون الدولة يجب لتنفيذه أن يوقع عليه رئيس الوزراء و الوزراء ذو الاختصاص ، فالملك يستعمل سلطته بواسطة وزرائه و الوزراء مسئولين سياسيا عن جميع أعمال الملك ، بهذا قام أول خلاف بين الملك و سعد زغلول ، و لم يتزحزح سعد زغلول من موقفه [3] استقبلت الأمة وزارة سعد زغلول بالابتهاج ، أسمتها الوزارة السعدية ، و قد حفل تاريخها بأعمال هامة حيث كانت سياستها في الافراج عن السجون السياسيين كأول الاعمال تقوم بها هذه الوزارة ، حينما افرج سعد زغلول عن المسجونين السياسيين الذين قضت المحاكم العسكرية البريطانية بإدانتهم في عهد الثورة ، حيث كان طلب سعد زغلول من الحكومة البريطانية الافراج عن هؤلاء المسجونين ، حيث جاء هذا الطلب بقبول من طرف حكومة البريطانية و لم يقتصر على عدد قليل بل جاء العفو شاملا لجميعهم [4].

---

[1] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص210.

[2] قدري قلعجي : **مرجع سابق**،ص458.

[3] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص213.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ....،ص181.

كان موقف سعد زغلول من اجتياز عشرة من المجاهدين الليبيين حدود لاجئين الى مصر حيث كانت الحكومة الايطالية تتعقبهم لنكيل بهم ، فطلبت من الحكومة المصرية تسليمهم ، و لما كان الدستور ينص على تسليم اللاجئين السياسيين محظور في مادة 151 فقد امتنعت عن تسليمهم الى الحكومة الايطالية ، انتهى اصرار الحكومة المصرية على عدم تسليمهم الى الحكومة الايطالية ، ولكنها قررت تكليفهم بمغادرة البلاد فضا للإشكال بين الحكومتين ، و اضطروا فعلا للمغادرة ، فكان موقفا حيالهم موقفا غير محمود ، و غير كريم و كان واجبا عليها أن تحميهم ولا تكلفهم مغادرة الديار المصرية ، مثلما كانت حكومات الاحتلال البريطاني تفعل مع خصومها الحكومة الثمانية الذين كانوا يتخذون مصر مقرا لدعايتهم ضدها[1] .

كان يوم السبت 15 مارس 1924 يوم افتتاح أول برلمان تتمثل فيه ارادة الأمة في انتخاب حر منذ وقع الاحتلال البريطاني سنة 1882 و منذ ذلك الوقت ظلت البلاد أربعين سنة متوالية بلا دستور الى ان ظفرت به سنة 1923 ، و افتتح البرلمان في 15 مارس من 1924 حيث اجتمع أعضاء مجلس النواب في دار البرلمان بهيئة مؤتمر ، و قد تكامل جمعهم منذ ساعة التاسعة صباحا [2].

دخل الملك فؤاد قاعة البرلمان في الساعة العاشرة صباحا يحف به الأمراء و الوزراء و كبار موظفي ، فوقف النواب و الشيوخ ، فحياهم وردوا التحية بالهتاف له ، حيث ان وصل الى مقعده حلف بالصيغة الاتية " **أحلف بالله العظيم اني أحترم الدستور و قوانين الأمة المصرية و أحافظ على استقلال الوطن و سلامة ارضيه** " فهتف الأعضاء للملك وصفقوا طويلا ، ثم جلس و جلس الأعضاء ، ثم خطب خطبته و تكلم في مستهلها على تهنئة المنتخبين و وضع المسؤولية عليهم جراء ثقة الأمة لهم و مستقبلها ، و تكلم عن صراحته في الدخول مع الحكومة البريطانية في مفاوضات حرة لتحقيق أمال القومية بالنسبة لمصر ، ثم بين لهم اهمية وظائفهم و مدى مشاركة الحكومة في ادارة البلاد بمبادئ الدستور و تطبيق احكامه و النظر الى القوانين المعمول بها ، ثم االستعرض عاجلا على مجلس النواب ميزانية الحكومة للسنة القادمة [3] .

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ....،ص183.

[2] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص214.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ...،ص ص 191-193.

اتسمت اجتماعات مجلس النواب ، بغالبية الوفدية ، بحسن الاستماع و حرية المعارضة في ابداء الرأي ، كان دليل على نضج الامة سياسي ، برهنت الأمة منذ البداية في سلوك نوابها و في مناقشاتهم و تناولهم للأمور و نظرتهم للمصلحة العامة على ادراك عميق لجدوى الحكم الديمقراطي و الحريات العامة حتى كان من أعضاء المجلس من يعترض على سعد و يخالفه الرأي [1] فقد تألفت هيئة من اغلبية النواب الوفدية كوسيلة لتنظيم النظم البرلمانية ، فلكل حزب الحق في ان يجتمع اعضاؤه و يتدارسوا المسائل التي ستعرض على المجلس لكي ينظموا صفوفهم ولا يتعارض بعضهم مع بعض فيما يعرض من الشؤون ، فقدر قرر البرلمان الى عدة نقاط كان من اهمها ان كل ما يباع من أملاك البلاد لا يستخدم ثمنه في مصروفاتها العادية بل يستخدم في التخلص من الدين العام الذي تعاني منه البلاد و كذلك ، و كذلك ان تشرع الحكومة في تعديل طريقة اصدار البنك ووضع نظام يجعل العملة المصرية مستقلة عن العملة البريطانية ، و كذلك عدة قرارات تخدم الأمة المصرية [2].

كان الملك يترقب الفرصة السانحة للتخلص من سعد زغلول و رفقائه من اعضاء الوفد و القضاء على الحكم الدستوري و لم يجد من الحكومة البريطانية عونا على ذلك في البداية فقد كانت السلطات البريطانية ترجوا ان يقر سعد زغلول سياستهم في مصر و يسلم بما جاء في تصريح 28 فيفري من تحفظات ، الا ان سعد زغلول لم يعترف بهذا التصريح و لم يقبل ما جاء به من قيود التي فرضت جراء انعقاد هذه المعاهدة خاصة منها القيد على استقلال مصر [3] لم تكن وزارة سعد زغلول واسعة الصدر بإزاء المعارضة البرلمانية ، و كان يضيق صدرها أيضا بالصحف المعارضة ، حيث كانت في كثير من الاحيان محل تعقبها بالاضطهاد و التحقيق و المحاكمة ، حيث فرضت عليها عدة عقوبات اثناء محاكمتها ، كان هذا مأخذا على سياستها اتجاه هذه الصحف و الصحفيين ، حيث اسرفت الوزارة السعدية في تحقيق مع الصحفيين المعارضين بدرجة اولى و تقديمهم الى المحاكمة وقد قضت المحاكم في معظمها بالبراءة و ذلك لقلة الادلة من جهة و من جهة اخرى حقهم في المعارضة لانتمائهم للأحزاب المعارضة [4].

---

[1] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص219.

[2] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ....،ص196،197.

[3] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص228.

[4] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ....،ص203.

من عيوب وزارة سعد زغلول استبقاؤها آفة المحسوبية في وظائف الدولة ، و ظهرت هذه المحسوبية في التعيينات و في الترقيات و لم تبال الوزارة انتقاد الناقدين بل قال سعد زغلول في حديثه " **اني لأسف ان اقاربي غير أكفاء و إلا كنت قد عينت منهم في كل مكان و لكان عندنا حينئذ ادارة من عائلته فقط بكل معنى الكلمة** " ولو أن وزارة سعد منعت المحسوبية في الوظائف لخدمة لخدمت أداة الحكم خدمة كبرى ، و لكنها لم تفعل و أقرت هذه الافة و سارت عليه الوزارات اللاحقة ، حقا أن خصومها لم يكونوا مخلصين في حملتهم عليها من هذه الناحية ، و لم يقصدوا خيرا ولا اصلاحا ، لم يمنع أن المحسوبية كانت من أكبر المأخذ على وزارة سعد [1].

ثانيا :مفاوضات سعد زغلول– ماكدونالد

تلقى سعد زغلول يوم افتتاح البرلمان برقية تهاني من المستر "رمزي ماكدونالد" [2] رئيس وزراء البريطاني يزف اليه فيها التهنئة و بدي استعداد حكومته للتفاوض مع الحكومة المصرية [3] كان سعد زغلول يأمل أن يجد في حكومة العمال ما لا يجده في حكومة المحافظين و أعرب عن أمله هذا في خطابه للنواب في حفل تكريمهم له يوم 25 يناير 1924 فقال " **من علامات اذن الله بنجاح سعينا ان تقوم في الأوقات الحضرة وزارة انجليزية معروفة بالميل الى مطالبنا الحقة و الى تسوية الخلاف بيننا و بين الحكومة البريطانية باتفاق صريح مبني على قواعد الحق و العدل** " و بهذا يبدو أن سعد زغلول بعد ما كان من أحداث في السودان و تأييدهم لموقف مصر[4] لذا عاد سعد زغلول الى لندن في 23 سبتمبر 1924 لمفاوضة مستر ماكدونالد و كان معه بعض كبار الموظفين و كذلك بعض النواب لكنها لم تدم طويلا و نحن نتفق مع الرأي القائل انها لم تكن بالمفاوضات لأن طبيعة المفاوضة قبل الجلاء ان تكون مساومة و تنازلا و لهذا سميت بمحادثات لأن موقف سعد زغلول كان موقف مطالبة ليست مفاوضة [5].

---

[1] عبد الرحمان الرافعي : **في اعقاب الثورة المصرية** ....،ص203،204.

[2] السير ماكدونالد : رجل سياسي تقمص عدة ادوار في الوزراة البريطانيا و هو الوزير البريطاني اشتهر بمفاوضات التي جرت في لندن مع سعد زغلول انظر الى : محسن محمد ، **مرجع سابق**، ص197.

[3] أمال السبكي: **مرجع سابق**، ص50.

[4] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص229.

[5] أمال السبكي: **مرجع سابق**، ص50،51.

حيث كان اول لقاء بين سعد زغلول و رمزي ماكدونالد رئيس الوزراء البريطاني في 25 من سبتمبر 1924 ، حيث بدأ الحديث بتبادل الاسف حول ما وقع من أحداث أبعدت روح التفاهم و تبادل العزم على اعادة حسن النية ، ثم عرج ماكدونالد على الفرو الى موضوع السودان الذي استنفد الجلسة كلها، بدأ بنقد ماكدونالد لسعد زغلول عن تصريحاته بالبرلمان في شهر يونيو التي رأى ماكدونالد أنها أغلقت الباب الى حد ما دون الاتفاق ، فرد سعد زغلول بأن التصريحات ليست جديدة فهي تعكس طلبا مصريا دائما باستقلال ، ثم انتقل الحديث الى القاء كل طرف مسؤولية أحداث السودان الأخيرة ، سعد يتهم حكومة السودانية بالعداء لمصر و ماكدونالد يتهم حكومة المصرية بتمويل الاضطرابات ، ثم انتقل الى بيان حكومة المصرية في اغسطس ورد انجليز عليه على محاضرة ماكدونالد حيث انتهى الاجتماع الاول على غير طائل و اهم ما يلحظ عن هذا الاجتماع ان سعد زغلول وان ابدى صلابة شديدة ازاء وجهة النظر البريطانية و شجاعة واضحة في ادانة السياسة البريطانية في السودان و عليه فهذا الموقف كان ظاهره القوة و باطنه الضعف لأنه استغرق في مناقشة أحداث السودان الأخيرة دون ان يظهر ثمة رؤية سياسية مستقلة في موقفه العملي و يحاول طرحه في النقاش ، كما غلب على تصريحاته في يوليو السابق طابع الحديث المجرد عن الحقوق ، يغطي بها غموض الأهداف العملية ، غلب على حديثه مع ماكدونالد الاستغراق في مناقشة الأحداث التفصيلية ، يغطي بها فيما يبدو غموض الأهداف السياسية العملية ، فكان محاميا يقف عند حدود التفاصيل الجزئية أكثر منه سياسيا يستشرف المسالك العملية ، و اهتم بتقديم الحجج لا بطرح الحلول ، حيث كان ماكدونالد يحاول ان ينتقل الى الحوار على مجال رسم السياسة المستقبلية ، فتحدث عن الوضع الرسمي في السودان و الحكم المشترك و عن الوضع العملي له و السيطرة البريطانية و ان التغيرات التي حدثت في مصر تستوجب اعادة اوانها و ان المشكلة المطروحة هي كيف تستمر بريطانيا في الوفاء بما تعتقده انها التزاماتها نحو السودانيين اي السيطرة على السودان مع ارضاء الحكومة المصرية [1] .

لم تجري هذه المحادثات بشكل جيد حيث لم تطل جلساتها الى عدد ثلاث جلسات في 25 سبتمبر و في 29 و في 3 اكتوبر قدم سعد خلالها مطالب التي يراها كفيلة باستقلال مصر [2].

[1] طارق البشري: **مرجع سابق**،ص150،149.

[2] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص229.

الحاصل فيما يبدو من مطالعة محاضر تلك الجلسات ان سعد زغلول لم يكن على استعداد للتعرض الى مسالة السودان ، و بعد انتهاء الاجتماع أرسل ماكدونالد الى سعد زغلول خطابا يحدد فيه موعد الاجتماع الثاني ، و يوضح أنه يلزم في هذا الاجتماع ان تعالج اولا المشاكل الرئيسية و انه يستحيل عليه الموافقة على اي اقتراح يتعارض مع التعهدات التي تقدمها الحكومة البريطانية ، فاستثار هذا الخطاب سعد زغلول في حذره التقليدي من فرض أي قيد على حرية المباحثات ، معبرا عن استحالة تفاوضه على اي أساس مقيد ، فرد عليه ماكدونالد مصححا ما فهمه سعد زغلول ، و في الاجتماع الثاني 29 من سبتمبر ، و بعد حديث سريع عن تفسير ماكدونالد لقصده من خطابه السابق ، أعاد ماكدونالد طرح مسالة السودان فعاد سعد زغلول يتحدث عن ازاء سوء الفهم ، و ألح سعد زغلول على هذه المسألة مما ادى بماكدونالد الى توجيه تساؤل مغيظ اليه عما اذا كانوا فعلا يتكلمون عن اشياء جوهرية ام فقط يحومون حول الموضوع حيث قرر انه راض ان يترك مسائل سوء الفهم تلك في وضعها ، فوافقه سعد زغلول إلا في نقطة السودان ففهم ماكدونالد انها نقطة مفاوضة ليست سوء تفاهم ، حيث اصر سعد زغلول ان يكون البدأ في محادثة عن مسألة المصرية و ان لا تبقى المسألة السودانية معلقة كذلك ، و هكذا علقت مسألة السودان في مباحثات الرجلين ، و لم يشمل الحوار بشأنها على مغزى سياسي هام ، واذا كان يبدو من هذا الموقف ان سعد زغلول لم يكن لديه ما يقوله عن السوادن و انه كان ينظر الى المسألة السودانية كأمر مرجأ لا تثور المفاوضة بشأنه الا بعد تصفية المسألة المصرية تصفية تقبلها الحركة الوطنية ، و لم يقدر لسعد زغلول ان يطلع مشروع الاتفاق البريطاني الذي سبقت الاشارة اليه ، و لكن من الراجح انه كان يدرك نوايا بريطانيين تماما في مسألة السودان حسبما بلورها هذا المشروع ، و ان سعد زغلول لم يترك هذه النوايا البريطانية في اشارته العابرة خلال المباحثات ، حيث انتقل الحديث الى مصر و هنا وقف سعد زغلول على ارضه قويا واضحا صادما لا يتهرب و لا يلتوي ، بدأه ماكدونالد بالسؤال عما يطلبه ؟ فأجاب سعد زغلول بأن الدار داره و ان مصر للمصريين فقال ماكدونالد ان ثمة امر واقعا و سعد زغلول يريد تغييره فماذا يريد [1] فبدأ سعد زغلول بطرح جملة من الطلبات على ماكدونالد حيث انحصرت في عدة نقاط حيث اصر سعد زغلول عليها و لم يوافق على اي نوع من التنازلات [2].

[1] طارق البشري: **مرجع سابق**،ص152،151.

[2] أمال السبكي: **مرجع سابق**، ص51.

فقد قدم سعد زغلول مطالبه التي يراها كفيلة باستقلال مصر و هي : سحب جميع القوات البريطانية من الأراضي المصرية ، سحب المستشار البريطاني المالي و المستشار البريطاني القضائي ، زوال كل سيطرة بريطانية عن الحكومة المصرية ، ولا سيما في العلاقات الخارجية فلا تتقيد بالإعلان للدول الاجنبية في 15 مارس 1922 ، و ان يكون ممثل بريطانيا في مصر كغيره من الدبلوماسيين ، أن تتنازل بريطانيا عن دعواها في حماية الاجانب و الأقليات في مصر و الاشتراك بأي طريقة كانت حماية قناة السويس ، التمسك بالتصريحات التي أدلى بها في البرلمان المصري عن السودان ، وقد عهدها الجانب البريطاني مطالبة بملكية مصر العامة للسودان ، و ما كان لسعد زغلول ان يرفض هذه المفاوضات أو المباحثات رغم ما يبدو من يقينه بفشلها ، و يكفيه منها ان وضع الحكومة البريطانية أمام مطالب محددة و أن تصريح 28 فيفري باطل لا تقره حكومته ، حكومة الشعب ، و أن لا جدوى من تصريح يصدر من جانب واحد لا يرضى به الجانب الاخر ، صاحب الرأي الاول في قبوله أو رفضه و كانت عبارة سعد عن هذه المحادثات خير وصف لها أذ قال " لقد دعونا الى هنا لكي ننتحر و لكن رفضنا الانتحار و هذا كل ما جرى" [1].

فبعد سماع ماكدونالد لطلبات سعد زغلول ، فأجابه انه يأسف لسماع هذا ، فرد سعد زغلول كذلك انه يأسف هو ايضا ، و هكذا كان طريق المطالب المصرية مغلقة في وجه الاتصال المصري البريطاني و لكن بقي طريق المطالب البريطانية ، و من هنا كان سعد زغلول محقا كمفاوض في ان يقترح في البداية طرح الموضوع من وجهة المطالب البريطانية ، لولا أن ماكدونالد أصر على البداية من الأمر الواقع اي وجود البريطاني بمصر ، فلما بلغت المطالب المصرية الى حد رفض سعد زغلول حماية بريطانيا لقناة السويس ، اطلاقا ، انتقل ماكدونالد الى فكرة معاهدة التحالف و الرباط الوثيق بين بريطانيا و مصر ، بدأ الاجتماع الثالث في موعده بمحاولة حذرة من ماكدونالد للتأكد من صحة ما ساق اليه أمله المتعجل في جلسة الماضية فبدأ بقناة السويس و ووجوب حماية بريطانيا لها لأن جميع استراتجية الامبراطورية تحوم حولها ، فرد سعد زغلول ان التحالف يكفي حمايتها لها [2].

[1] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص230،229.

[2] طارق البشري: **مرجع سابق**،ص 152.

ولا يكلف هذا ان يكون اي جزء من مصر تحت الحكم البريطاني ، فعلق ماكدونالد انه لا فائدة من الحديث عن التحالف أو اية تأكيدات غامضة ، ولما سأله سعد زغلول عما يريد بالضبط أجاب أنه يريد مواقع تتخذها الجيوش البريطانية محطات بغرض حماية القناة ، فرفض سعد زغلول جازما ، فتبادل الطرفين الحجج التي يمكن أن تثور و التي ثارت من قبل مصر و بريطانيا منذ 1919 في أية مواجهة سياسية ، حيث تصاعدت حدت النقاش بحيث يقول سعد انها مصلحة عالمية فلماذا يطلب الانجليز احتكارها و يقول الثاني ألا ضمان للمصالح بريطانيا ثم يقول سعد ألا ضمان لاستقلال مصر مع وجود جيوش ، والأول يقول ان برلمانه سيرفض حتما الجلاء عن مصر و يقول الثاني وشيعه سيرفض حتما احتلال مصر ، الاول يتحدث عن وجود ثقة بين البلدين و الثاني يتحدث عن انعدام الثقة بعد ستين وعدا بريطانيا بالجلاء عن بلادهم لم يتحقق منها واحدة ، و توقف الحوار بقول سعد زغلول أنه عاجز عن فهم الموقف البريطاني فانتهت المباحثات بالفشل ، و قبل ان يفترقا تبادلا حديثا في مسألتين طرحهما ماكدونالد ، اولهما موقف حكومة سعد زغلول العدائي من الموظفين الأجانب ، ثانيهما مسالة الديون التركية المضمونة بالجزئية المصرية ، و هي ديون يستحقها دائنون اوربيون استدانت منهم تركيا في القرن التاسع عشر بضمان ما تدفعه مصر اليها من جزية بحكم تبعية مصر السياسية لها ، فكانت موقف حكومة سعد زغلول منها ان الحكومة لم تعد مسئولة عن الجزية بعد انفصالها عن دولة العثمانية زلم تشأ الامتناع عن الدفع فأودعت أقساط الديون المستحقة في حساب خاص توطئة لعرض المسألة على محكمة العدل الدولية ، و أضب الحكومة البريطانية هذا الموقف و هدد ماكدونالد سعد زغلول بأن عدم الوفاء يفيد امتناعا من الحكومة عن الدفع يلحق بسمعتها المالية اوخم العواقب ورفض سعد زغلول بغير اللجوء الى محكمة العدل الدولية [1] .

لخص ماكدونالد مطالب سعد زغلول في رسالة ارسلها الى المندوب السامي حيث قال فيها " **في اثناء محادثاتي مع رئيس الوزراء المصرية أوضح لي سعد زغلول ماهي التعديلات التي يرى بدأ من ادخالها في الحالة الحاضرة في مصر فإذا كنت قد فهمته حق الفهم فهذه التعديلات ثم ذكر ما تقدم به سعد زغلول من اقتراحات**" [2] .

[1] طارق البشري: **مرجع سابق**،ص154.

[2] أمال السبكي: **مرجع سابق**، ص53.

ثالثا :سعد زغلول في ايامه الاخيرة

رأى الملك في فشل المحادثات فرصته السانحة للإطاحة بسعد زغلول و بالحكم الدستوري حيث بدأ ينشد الانجليز بالاستعانة بهم ، ففي تقرير لممثل الندوب السامي في القاهرة الى حكومته بتاريخ 24 اكتوبر يقول ان الملك قد وصف محادثات سعد زغلول و ماكدونالد بالفشل و يبدى رغبته في التعاون مع الحكومة البريطانية و انه على استعداد لحل البرلمان اذا ما تطلب الموقف ذلك ، و في ختام التقرير يقول ممثل المندوب السامي ان الملك قد عاد الى محاولاته للسيطرة على الشؤون العامة ، و بدت البوادر بتنكر رجال الملك لسعد و للوفد ، بحيث صار طلبة الازهر يهتفون يرددون لا رئيس إلا الملك ، فأخذ الملك يتصل بسلك السياسي المصري في الخارج دون علم الوزارة للدعاية له [1].

حدد لافتتاح الدور الثاني للبرلمان في 12 نوفمبر 1924 و جرى الاحتفال المعتاد بافتتاحه في جو ملق تكتفه الاشاعات عن وجود أزمة وزارية وأن سقوط الوزارة السعدية وشيك الوقوع حدث ذلك عندما قدم زغلول استقالته للملك في 15 نوفمبر ألا ان مجلس النواب أعلنا ثقتهم بالوزارة علق سعد استرداد استقالته على قبول تلك المطالب فقبلها الملك و انفرجت الأزمة و حضر على أثرها اجتماع مجلس النواب في 18 نوفمبر و صرح في بيانه أني سحبت استقالتي و سيظل الدستور محترما بحماية جلالة الملك و أننا خادمي القائمين على تنفيذه معتمدين على الله و ارادة الشعب المصري [2].

ففي هذه الاثناء وقع في مصر حادثان كان لهما ابعاد الاثر في كفاح الوطني و الدستوري اغتيال شخصين لهما مكانتهما الاول اللورد اللنبي أما الثاني فهو السير لي ستاك سردار الجيش المصري ، وحدد يوم الحادي عشر من اكتوبر لاغتيال اللنبي لأنه أكبر الرؤوس الانجليزية بالعاصمة على أن يكون ذلك دار المندوب السامي و كان هذا بعد افتتاح الدورة الثانية للبرلمان فبعد فشل محادثات سعد ماكدونالد و بعد نزول الملك لمطالب سعد اثر استقالته ، كان المستفيد الاكبر هو الاحتلال البريطاني حين حقق مأربه في الاستئثار بالسودان و ابعاد المصريين عنه و كان المستفيد بدرجة اقل الملك حين أطاح بالحكم الدستوري [3].

---

[1] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص230.

[2] أمال السبكي: **مرجع سابق**، ص55،53.

[3] حسين فوزي النجار: **مرجع سابق**، ص235.

أعلن سعد زغلول ان جريمة اغتيال السردار أصابته شخصيا ، حيث كانت ضربة للحركة الوطنية ، و هي مؤامرة لتخلص من سعد زغلول بحيث انتهت الاحداث باستقالة سعد زغلول كان قد رفع كتاب استقالته الى الملك و تعجل قبولها في اليوم التالي ، ازاء هذه الاعتداءات المتكررة حيث اعن سعد زغلول استقالته الى مجلس البرلمان في نفس اليوم [1].

ازداد شعوره بجهد العمل يوما بعد يوم قبيل انتهاء الدورة البرلمانية فكان يحضر حينا و يغيب حينا و يعاني مشقة بالغة في متابعة الأعمال البرلمانية و غيرها ، و كثير منها كان يجري وراء الستار و هو يجهده ، و قبل اليوم الاخير للدورة البرلمانية استجم في المنزل ليستطيع ان يشهد الجلسة الأخيرة و يلقي الختام التي تعودها منه النواب غير انه لم يقو على التحضير كدأبه في المناسبات الرسمية فقال في مطلعها " **حاولت عند اقتراب انتهاء هذا الدور أعد خطبة كما فعلت في الدور السابقة ، و لمني لم اتمكن من ذلك لضعف في صحتي** " **و ختمها قائلا** " **لقد كنت أود ان اجعل احد يملي مني ولكني قبل ان اختم كلامي أرجو منكم حينما تغادرون هذا المكان ان لا تنسوا وظائفكم لا تنسوا انكم نواب دائما ليحدوكم هذا العلم الى البحث عن امال مواطنيكم و احتياجاتهم** " و غادر القاهرة بساتين بركات فوصل اليها مساء الاحد السابع عشر من شهر يوليو قضى بها عشرة ايام و اعرب عن اغتباطه بهذه الرحلة [2] .

كان قد ظهر على أذن سعد زغلول اليمنة احمرار خفيف لم يؤمله في بادئ الامر و لكنه شعر بالألم منه بعد ايام عدة من ظهر هذا الاحمرار شعر سعد زغلول بالألم بشكل كبير حيث كان تضاعف هذا الالم في الثاني و العشرين من اغسطس فحين قام سعد زغلول بفحص هذا الاحمرار ، فظن بعض الاطباء أنه التهاب فقط لا يؤدي الى العدوى و الانتشار في باقي الجسم و عالجه على هذا الاعتبار و لكن هذا الاحمرار انتقل الى جلده و اخذت الحرارة في الارتفاع فدعى الدكتور ليفحصه فقرر انه من الواجب ان يرجع سعد الى القاهرة و لكنه تحسنت حالته نوعا ما بعد يومين و كانت تتوافد عليه الضيوف من كل جهة و كانوا يزجون أوقاتهم في ذلك الجو فكان سعد يقوم بتوجيه الاحاديث و يذكر الذكريات امام ضيوفه [3] .

---

[1] أمال السبكي: **مرجع سابق**، ص68.

[2] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول في حياته الخاصة** ،ص104.

[3] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول سيرة و تحية**،ص600.

23 اغسطس من 1927 كانت الساعة السابعة مساءا حين منع الشرطة و هم منتشرين في جميع الطرق المؤدية الى شارع سعد زغلول ، وفي الساعة تاسعة اجتمع الاطباء لتشاوروا في حالة سعد زغلول ، و في العاشرة مساءا اسلم الفقيد روحه الا الله [1].

توفي سعد زغلول و الوزارة في حكم الوفديون و حلفائهم من الأحزاب الأخرى ، فقامت الوزارة بواجبها في تشييع جثمان سعد زغلول الى قبره ، و أمرت بنقل الجثمان على مدفع و اطلاق سبع عشرة طلقة في اثناء سير الجنازة ، حيث اشتركت الوزارة و المجلسان النيابيان و علية الشعب و سواه في تشييع الجنازة عصر اليوم التالي من وفاته ، و على الرغم من القيظ و أجازات الصيف و غياب الكثيرين من الأقاليم و البلاد الخارجية كان المشتركون من أهل الأقاليم يعدون بعشرات الألوف ، و امرت الوزارة بشراء بيت الأمة و حسابه من أملاك الدولة لصيانة أثار سعد الباقية فيه و امرت كذلك بتشييد ضريح الى جانب بيت الأمة ينقل اليه الجثمان بعد الفراغ من بنيانه ، و يصنع تمثالين يقام احدهما في القاهرة و الاخير في الاسكندرية و لغت الاكتتابات الشعبية لتخليد ذكرى الزعيم نحو عشرين الف جنيه ثم وقفت عند القدر انتفاء بما أقامته الحكومة الممثلة للشعب ، و لما بناء الضريح كانت الوزارة القائمة او كان الحكم كله حكم خصومة لسعد و السعديين فتباطأت الوزارة في نقل الجثمان ثم حولت الضريح الى مقبرة لبعض الملوك الفراعنة الاقدمين [2].

[1] حسين فوزي النجار : **مرجع سابق**، ص236.

[2] عباس محمود العقاد : **سعد زغلول سيرة و تحية**،ص619،618.

الخاتمـــة

بعد دراستي لهذا الموضوع الموسوم بسعد زغلول و دوره في حركة الوطنية المصرية خرجت بجملة من النتائج من اهمها :

ان نشأة سعد زغلول كانت في بيئة ذات طابع فلاحي يسوده الظلم ، و بما ان أسرة سعد زغلول كانت ذات مقام و ثراء في المجتمع المصري استطاع سعد زغلول ان ينشأ بين كبار العلماء و المصلحين اي ذو نشأة اسلامية بدرجة كبيرة .

من خلال ما تقدم نعتبر ان انتقال سعد زغلول من جامع الازهر الى العمل في ميدان الصحفي في جريدة الوقائع كان احد اسباب تكوينه السياسي و استطاع ان يكمل تكوينه السياسي بعد انضمامه الى احدى منتديات الادب بالقاهرة على غرار منتدى الاميرة نازلي فاضل .

موقف سعد زغلول من الاحتلال البريطاني كان موقفا معاديا و الدليل على هذا مقالاته في جريدة الوقائع و كذلك جريدة الاقدام حيث برزت على ان تكون تعبئة الشعب المصري على قيامه بالثورة ضد المحتل البريطاني .

من خلال اشتغال سعد زغلول في المحاماة اعطاه شهرة كبيرة على اثرها استطاع الفوز بالانتخابات و أن يصبح وكيل الأمة المصرية.

من اسباب دخول سعد زغلول في مفاوضات مع سلطة الاحتلال البريطاني هو تصريح رئيس الولايات المتحدة الامريكية ولسن بحق الشعوب المحتلة ان تقرر مصيرها بنفسها اثر انعقاد مؤتمر الصلح بباريس .

قيام ثورة 1919 لا تتمثل سببها في اعتقال سعد زغلول و رفقائه فحسب بل يوجد اسباب اجتماعية و اقتصادية و سياسية ارهقت كاهل الفلاح المصري بدرجة اولى و المصريين بدرجة ثانية و انما يعتبر اعتقال سعد زغلول و رفقائه بمثابة الشرارة التي اشعلت نار ثورة 1919.

نستنتج ان ثورة 1919 ثورة سياسية بكامل المقياس و انها ليست ثورة عسكرية و لكن استطاعت ان ترجع شيء من السيادة المصرية و ذلك ما عبر عنه في تصريح 28 فيفري بإنهاء الحماية البريطانية على مصر من جهة ، و دخول مصر في دوامة التبعية البريطانية من جهة اخرى من خلال فرض بريطانية عدة اتفاقيات تخدم مصالحها خلال مدة اربعة عشر سنة القادمة بعد اعلانها لتصريح 28 فيفري 1922 .

تصريح 28 فيفري 1922 هو ضربة عنيفة في وجه الحركة الوطنية المصرية نعتبره فشل ذريع في مسيرة سعد زغلول بشكل خاص و في نشاط الحركة الوطنية المصرية بشكل عام لأنه لم

يستطع في قيامه بثورة 1919 التخلص من الاحتلال البريطاني بل فرضت على مصر صيغة جديدة و قناع اخر يتمثل في تبعية مصر لبريطانيا .

من النتائج الايجابية التي حققتها ثورة 1919 بقيادة سعد زغلول انها استطاعت ان تجمع المجتمع المصري بكامل اطيافه و طبقاته سواء من اقباط و مسلمين سواء من الفلاحين او عمال اداريين سواء الطبقة الفقيرة او الطبقة الارستقراطية كل هذه الطبقات اجتمعت من اجل هدف واحد و هو التخلص من الاستعمار البريطاني و طرده نهائيا من مصر.

أما من النتائج السلبية التي انجرت من ثورة 1919 خسارة كبيرة مادية و معنوية سواء في الارواح بمقتل عدد كبير من افراد المجتمع المصري و احباط الذي اصاب المصريين وعدم اكتمال فرحتهم بمرسوم تصريح الغاء الحماية البريطانية على مصر خاصة بعد فرض بريطانية لمعاهدة شعر من خلالها المصريين ان بريطانيا بهذا المرسوم لم تنل حريتها و استقلالها بالكامل و و الدليل على هذا عدم فرحتهم بالخروج في مظاهرات احتفالية و زد على هذا الخسارة من الناحية المادية التي اصابت بها مصر من خلال تلف البنية التحتية .

الملاحـــق

الملحق رقم : (1)

ملحق يمثل : صورة سعد زغلول و فتح الله بركات على سلم بيت الأمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

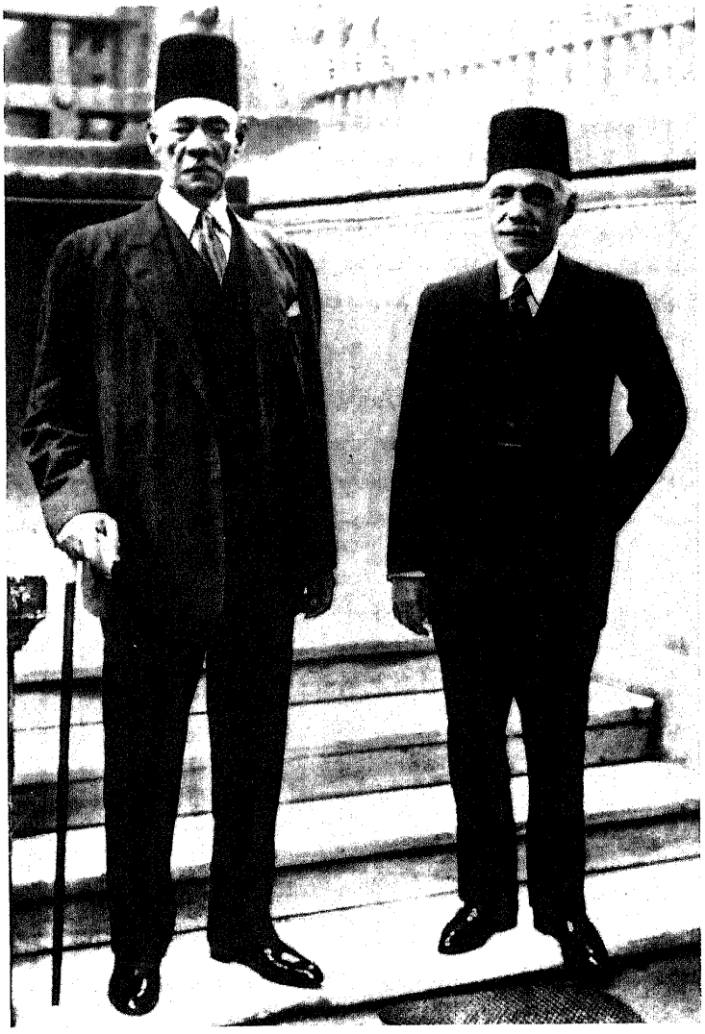

سعد زغلول وفتح الله بركات على درج سلّم بيت الأمة

المصدر : فخري عبد النور، مصدر سابق، ص163.

الملحق رقم (2)

ملحق يمثل : صورة سعد زغلول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

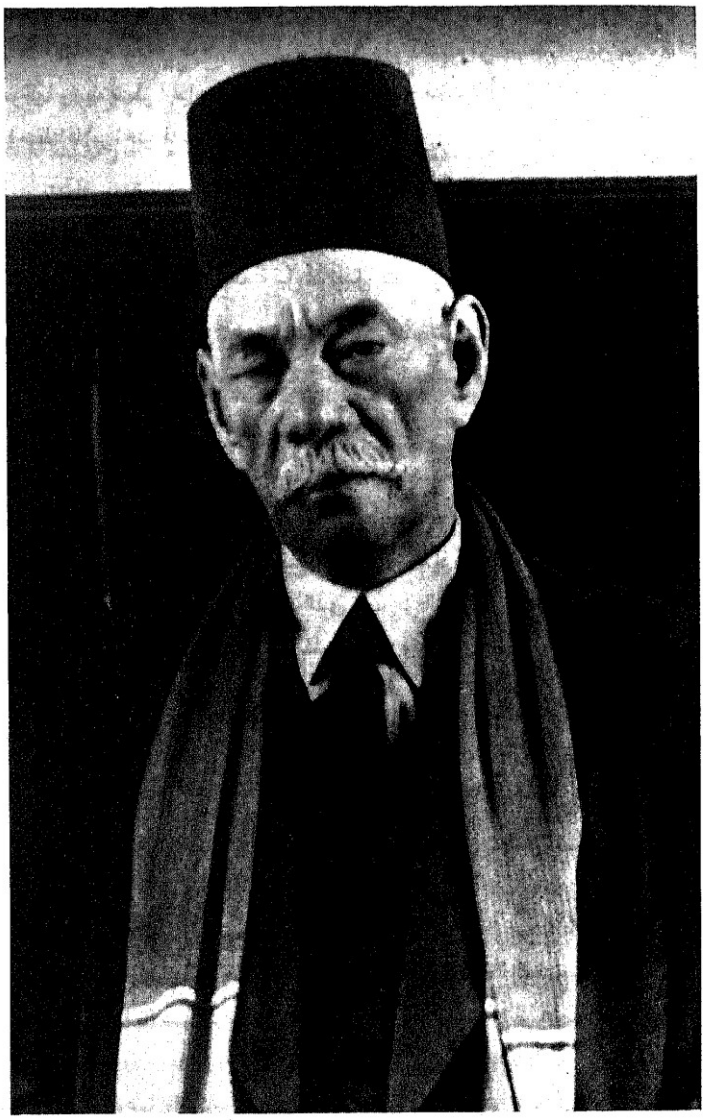

الزعيم بعد عودته من رحلة الصعيد وقد بدت عليه علامات التعب والإرهاق

المصدر: فخري عبد النور، مصدر سابق، ص287.

الملحق رقم (3)

ملحق يمثل : محاضر الجلسات المفاوضات بين الوفد المصري و اللورد كريزن

(٤) محضر الجلسة الثالثة

بين الوفد الرسمى المصرى وبين اللورد كيرزن ومساعديه

فى يوم الخميس ١٤ يوليه سنة ١٩٢١ بوزارة الخارجية

افتتحت الجلسة الساعة ٤ والدقيقة ١٥ بعد الظهر .

اللورد كيرزن — نسيت بالأمس أن أرجوكم ألا تبلغوا الصحف شيئا عن مفاوضاتنا ، وكل ما أرى ذكره هو خبر الاجتماع الذى حصل وتاريخ الاجتماع المقبل . ونحن محترسون فأرجوكم الاحتراس . بالأمس بحثنا المسألة العسكرية ، وبعد نهاية الجلسة أرسلت لكم ورقة غير رسمية تتضمن بيان النقط الكبرى فى تلك المسألة ، وإنى مستعد أن أعيد المناقشة فى هذا الآن أو بعد الآن كما ترون .

عدلى باشا — أفضل تأجيل المناقشة إلى مابعد ، حتى نتذاكرفيها فيما بيننا (وذكر وصول الورقة وأنه اعتبرها مجرد تذكرة ولذلك لم يجب عليها) .

اللورد كيرزن — إذن تكون المناقشة فى أى وقت تريدون وإنما أنبهكم إلى أهمية المسألة

فى تقرير ابتدائى رفعه اللورد ملنر بعد رجوعه من مصر ، ولم ينشر ، رأى أن تكون العلاقات الخارجية تحت إشراف المندوب السامى ، ولكنه بعد أن حادثكم وحادث زغلول باشا عدل رأيه ، وقرر أن هناك نزعة قوية لطلب التمثيل السياسى إلى آخر ماورد فى صحيفة ٢٧ من تقريره . وقد ذكر فى تقريره مايقال دفاعا عنها وما يرد عليها من الاعتراضات . وفى ختام هذا الموضوع من التقرير نقطة أريد أن ألفت نظركم اليها بصفة خاصة وهى : " هذه هى الأدلة والبراهين التى حملتنا على إعادة النظر فى مركزنا بإزاء مسألة الصفة السياسية ، مع علمنا تمام العلم . كما قلنا للوفد صريحا . أن تساهلنا فى هذا الأمر قد يلقى الرعب المقلق فى دوائر الرأى العام البريطانى ، ويخشى أنه يمنع الشعب البريطانى من قبول الاتفاق برمته . وإذا بنينا حكمنا على مانشأ عنه من الانتقاد والأقوال الدالة على عدم الرضى عنه فى دوائر كثيرة اتضح أننا أصبنا ولم نخطئ فى توقعنا له المعارضة الشديدة" . فترون أن اللورد ملنر كان يخشى أن هذه المسألة تثير هنا اعتراضات كثيرة — وقد تذاكرنا فيها فى الوزارة وفى مؤتمر رؤساء الوزارات ورأيت أنهم جميعا يشاطرون اللورد ملنر مخاوفه على أن هناك نقطة وجدت الوزارة متفقة معكم فيها . وهى أن الظروف التى اقترنت بالحماية من زوال وزارة الخارجية وإشراف المندوب السامى على أعمالها لاتحل لبقائها ، ويجب أن تعود الأحوال إلى ما كانت عليه من وزارة ووزير ، وأن يكون للدول ذات المصالح فى مصر أن ترسل ممثلين يتعاملون مع وزير الخارجية المصرى — ومن المستحسن أن توضع

في المعاهدة عبارة تدل على أنه فيما يتعلق بإدارة الأعمال الخارجية في القاهرة يجب أن يكون وزير الخارجية متصلا بالمندوب السامي ، وأن يكون عالما بكل مايجرى من تلك الأعمال إذ أن إلغاء الامتيازات يحدث لهذا المندوب مركزا خاصا ويجعله قائما على المصالح الأجنبية — هذا شئ لاصعوبة فيه ، وإنما الصعوبة في تمثيل مصر في البلاد الأجنبية . وقد رأيت في الوزارة نزعة قوية ضد هذا التمثيل ، ويرى الوزراء أنه وإن كان الغالب أن الممثل المصري يكون مخلصا في عمله . فقد يعرض أن الممثلين المصريين في عواصم أجنبية يكونون منشأ للمتاعب والدسائس والأخطار — العالم يتغير بسرعة ولا يبعد في زمن قريب أن يتولى أمر الحكومة المصرية رجال غيركم لايكون إحساسهم منطويا على الود لنا ، فإذا وقرت لكم مثل هذه المزية — مزية التمثيل — وقعت بيننا حتما صعوبات ومشاكل بل جاز أن تبرم عهود تنقض مانحن صانعون الآن . على أنه لا يراد بكم أن تفقدوا وسائل النظر في مصالحكم في الخارج ، وليس مانمنع من أن تتولوها بقناصل ، ولكن فيما يتعلق بالمسائل السياسية يحسن أن تعتمدوا على حاضر استعداد حكومة انجلترا وحسن خدماتها .

هذه هي الآراء الراجحة في هيئة الوزارة الإنجليزية ، وأريد أن أسمع رأيكم بكل احترام . وإذ كنت أتكلم باسم الحكومة الإنجليزية فقد رأيت أن أدلكم على النزعة الغالبة فيها — وقد ذكر لي اللورد ملنر أنه سلم بهذه المسألة لأنه ألفى المصريين يعلقون عليها أهمية كبرى ولكنه لايزال كثير المخاوف .

عدلي باشا — هذه مسألة يراها المصريون أساسية في مطالبهم . لاحبا في الصيغ والألفاظ ، ولكن لأنها الوسيلة لتقرير شخصيتهم المستقلة ، وقد ذكرت للورد ملنر أن جعل العلاقات الخارجية تحت إشراف انجلترا ليس إلا مظهرا للحماية ، كذلك ذكرت له أننا نريد أن نكون على اتصال بالمدنية الغربية ، ليمكننا أن نعمل على ترقية الشؤون المصرية ، ويسعنى أنا الاشتراك في الحركة العالمية . وفي التجارة وغيرها من المرافق مسائل لا يحسن علاجها إلا إذا كان ممثل مصري يمثلنا ويطلعنا على كل شئ — أما الخطر الذي تشيرون إليه فقد قلنا فيه إنه إذا حصلت مصر على مطالبها فلا يمكن أن تنقلب للعداء والدسيسة . إذ لا مصلحة لها في ذلك . على أن الذين يخلقون الدسائس ليسوا هم المعتمدين السياسيين لأن عليهم مسئولية أعمالهم ، فلا يسعهم أن يعقدوا معاهدة أو يتخذوا تدابير ضد مصلحة انجلترا ، وإنما يقوم بمثل هذه الأعمال أشخاص ليست لهم صفة رسمية . وأذكر على سبيل المثال (بارون أو بنهايم) فقد اشتغل زمنا بالدسائس في مصر ولم يكن له شأن رسمي في القنصلية الألمانية ، فإنكار التمثيل السياسي على مصر لا يمنع من دس الدسائس وخلق المشاكل في الخارج مادام لا يحتاج فيها إلى ممثل سياسي بالذات ، وفوق ذلك فإن من يريد دس الدسائس لا يعدم وسيلة لذلك ، فقد يتذرع إلى ذلك بممثلي الدول الأجنبية في القاهرة إن عزت عليه الطرق الأخرى . فنرون أنه لا يمكن أن تتخذ تدابير مطلقة لكل فرض أو احتمال ، وما لم تسد الثقة بيننا فلا سبيل إلى وضع اتفاق مقبول ، لأنه إذا ضمن الاتفاق قيودا كثيرة أصبح حتما غير مقبول ، ولا أرى أن مركزنا يكون قد تغير عن ذي قبل إذا لم تتمتع مصر بالتمثيل السياسي

(٥) محضر الجلسة الرابعة

بين الوفد الرسمى المصرى وبين اللورد كيرزن ومساعديه

فى يوم الثلاثاء ١٩ يوليه سنة ١٩٢١ بوزارة الخارجية

افتتحت الجلسة الساعة الخامسة بعد الظهر

اللورد كيرزن — فى المرتين الفائتين تناقشنا فى مسائل ثلاث :

(الأولى) رأى حكومة انجلترا فيما يتعلق بمحل وضع القوة العسكرية .

(الثانية) الترتيبات المستقبلة لإدارة الأمور الخارجية .

(الثالثة) مركز الموظفين البريطانيين الذين يدعيان إلى الإشراف على أمور المالية والحقانية.

وقد أرسلت لكم مذكرات فى هذه المواضيع الثلاثة لم يراع فيها إحكام النص، وأخبرتموني أنكم ستضعون هذه المسائل موضع البحث، وها أنا مصغ لأى شئ تريدون أن تبدوه عن أية هـذه المسائل الثلاث .

عدلى باشا — سأحاول أن أقترح لكم رأينا فيما يتعلق بالقوة العسكرية. وإنما أستأذنكم — بيانا لوجهة نظرنا — فى إعادة ذكر الأحاديث التى كانت لنا مع اللورد ملنر . كانت المسألة العسكرية محل بحث طويل بيننا وقد تناقشنا فيها من وجهاتها المختلفة. فرأينا أن الأمر فيها لا يخرج عن إحدى حالتين : حالة الحرب وحالة السلم . أما فى زمن الحرب فقد رؤى أن تضمن المعاهدة نصا تتعهد بريطانيا بمقتضاه بمساعدة مصر فى الدفاع عن سلامة أرضها من أى اعتداء خارجى . وباعتبار هذا العهد حكما من أحكام معاهدة، فإنه لا يعمل به ولا يطبق إلا فى زمن الحرب ، ولم يكن تعهد بريطانيا بالدفاع عن سلامة أرض مصر ليقتضى وجود جنود فى وقت السلم ، وبما أن أساس المعاهدة هو الاستقلال. فقد رؤى أن يكون هناك تبادل فى التعهد نفيا لشبهة الحماية، وإبعادا لكل احتمال يقرب منها ، ولكنه لما كان بين البلدين مصر وانجلترا اختلاف كبير فى الموارد وفى احتمالات الحرب لم يكن من المقبول أو الجائز أن يكون التعهدان متطابقين تماما . لذلك اكتفى بأن ينص على أنه حينما تكون انجلترا فى حالة حرب تتعهد مصر بأن تقدم لها كل التسهيلات من

وسائل نقل وموانى ومحطات طيران حتى ولو لم تكن مصر نفسها فى خطر . هذا فيما يتعلق بحالة الحرب . أما ما يتعلق بزمن السلم فقد قدرنا أنه يجب أن ينتهى الاحتلال العسكرى . غير أن اللورد ملنر أثار بهذه المناسبة مسألة المواصلات ووجوب المحافظة عليها وشدد فى وجوب وجود قوة عسكرية من أجلها . وبالرغم من أن وجود تلك القوة يتضمن مساسا بالسيادة المصرية رأينا أن نسلم به لنقدم بذلك دليلا على حسن مقاصدنا . على أنه كان من المفهوم بيننا أن وجود القوة لايراعى فيه إلا مصلحة انجلترا من وجهة الأغراض الحربية التى تقتضيها المواصلات ، وأنها لاشأن لها بمصر فهى ليست ضدها أو للتداخل فى شؤونها ، كما أن وجودها لا علاقة له بمصلحة مصر من حيث الدفاع عن سلامة أرضها — وقد نص على هذه المسألة فى مشروع اللورد ملنر فى المادة ٤ فقرة ٢ . ولما أرسل المشروع مع المندوبين الأربعة لتفسير فحوى مواده والاستنارة بآراء الهيئات المصرية فيه . أشار هؤلاء المندوبون فى شرحهم إلى أن مركز هذه القوة هو منطقة القناة ، إذ كانت وجهة النظر المصرية أن محل الخطر على المواصلات البريطانية هو منطقة القناة . فيجب أن يكون الدفاع عنها هناك . وقد اعترض على هذا الرأى بالتعهدات الدولية وحياد القنال ، ولكن كان المفهوم دائما أن لا تكون تلك القوة فى مدينة أو بالقرب من مدينة وألا تخرج على أى حال عن منطقة القناة . وإن كان اللورد ملنر رفض أن يكون معسكرها على الشاطئ الأسيوى من القناة .

اللورد كيرزن — هذا لم يكن رأى اللورد ملنر (وقرأ صحيفة ٢٩ من التقرير حيث أشير إلى وجوب حماية المواصلات فى البر وفى الهواء أيضا) .

عدلى باشا — الأثر الذى بقى فى نفسى من تلك المناقشات هو أن المفهوم لدى الفريقين أن تكون تلك القوة فى منطقة القناة ، وقد ذكرنا القنطرة . ولكن اللورد ملنر لم يرض بشئ معين ، وأحال المناقشة فى ذلك على المفاوضات الرسمية ، وهذا التحديد بمنطقة القناة . هو ما قصر به الأمر فى مصر . وقد أضاف المندوبون الذين تولوا ذلك التفسير إلى ما تقدم أن الثكنات ومحطات الطيران تكون فى تلك المنطقة ، ثم صدر بعد ذلك تقرير لجنة ملنر وفيه كما قلتم تركت المسألة مفتوحة باعتبار أن

المرجع : وزارة الخارجية المصرية: وثائق القضية المصرية 1882–1954، مطبعة الاميرة ، القاهرة،1985، ص ص 110،113.

البيبلوغرافيا

الوثائق:

وزارة الخارجية المصرية:وثائق القضية المصرية 1882-1954، مطبعة الاميرة، القاهرة، 1985.

-الكتب العربية:

1. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق ، الجمل شوقي: **تاريخ مصر و السوادن الحديث و المعاصر**، دار الثقافة ، القاهرة، 1997.
2. الاسكندري عمر: **تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر**، المدبولي، القاهرة، (ب ت).
3. الباروي راشد: **مجموعة الوثائق السياسية المركز الدولي لمصر و السودان و قناة السويس** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1952.
4. باشا أحمد شفيق: **حوليات مصر السياسية ،مطبعة شفيق باشا**، القاهرة ، 1927،ج2.
5. البثري طارق: **سعد زغلول يفاوض الاستعمار**، دراش الشروق، القاهرة 2011.
6. ثابت كريم : **سعد زغلول في حيته الخاصة**، القاهرة ،1929.
7. الجمل شوقي ، ابراهيم عبدالله عبد الرزاق: **تاريخ مصر المعاصر**، دار الثقافة،القاهرة،(ب ت).
8. **حلمي الثاني عباس: مذكرات عباس حلمي الثاني ، خديو مصر الاخير، تر جلال يحي** ،مر اسحاق عبيد،تق أحمدعبد الرحيم مصطفى ، دار الشروق ، القاهرة ،1993.
9. الرافعي عبد الرحمان: **في اعقاب الثورة المصرية ثورة سنة 1919**، دار المعارف ، القاهرة، 1987.
10. الرافعي عبد الرحمان: **ثورة 1919 تاريخ مصر القومي من 1914 الى 1921**، دار المعرف ، القاهرة،(ب ت)
11. رفاعي عبد العزير: **ثورة مصر سنة 1919 دراسة تارخية تحليلية** ،دار الكتاب العربي ، القاهرة،(ب ت)
12. رمضان عبد العظيم: **تطور الحركة الوطنية في مصر 1918-1936**، الهيئة المصرية العامة،(ب ت)
13. زغلول سعد: **مذكرات سعد زغلول :تح عبد العظيم رمضان**، ج 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتب،(ب ت)
14. السبكي أمل: **سعد زغلول و الكفاح السري** ، دار المعارف ، القاهرة، (ب ت)

15. السروجي محمد محمود: **دراسات في تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر** ، الاسكندرية، (ب ت)

16. سليم محمد كامل : **صراع سعد في اوروبا** ، مؤسسة اخبار اليوم، القاهرة.

17. صبيح محمد: **كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، (د،ن)، القاهرة، 1966.

18. صفوت محمد مصطفى: **انجلترا و قناة السويس 1854-1956**، المكتبة التجارية الكبرى، (ب ب)،(ب ت)

19. طه جاد: **معالم تاريخ مصر الحديث و المعاصر**، دار الفكر العربي، (ت ب)

20. عباس حافظ : **بطل النهضة المصريةالكبرى**،مؤسسة الهنداوي،القاهرة،2012.

21. عبد الرحيم محمد حسين: **نظال شعب مصر 17988-1956**،منشأة المعارف ،(د،م) ، 1970.

22. عبد النور فخري : **دور سعد زغلول و الوفد في الحرة الوطنية**، تق مصطفى امين،تح يونان لبيب رزق، دار الشروق ، القاهرة.(ب ت)

23. عبده علي ابراهيم: **مصر و افريقيا في العصر الحديث** ،دار القلم ، القاهرة،1962.

24. العقاد عباس محمود : **سعد زغلول سيرة و تحية** ، مطبعة الحجازي ، القاهرة.(ب ت)

25. العقاد عباس محمود: **سعد زغلول زعيم الثورة** ، دار الهلال ، مصر.(ب ت)

26. عمر عمر عبد العزيز: **دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر** 1517-1952، دار الفكر ،الاسكندرية،1989.

27. الغتيت محمد علي: **الغرب و الشرق من الحروب الصليبية الى حرب السويس** ، دار القومية ، القاهرة (د،ت)،ج2.

28. غرابيه عبد الكريم محمود: **دراسات في تاريخ افريقيا العربية 1918-1958**، مطبعة جامعة دمشق،1960.

29. غربال محمد شفيق: **تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية بحث في العلاقات المصرية الى عقد مقد معاهدة التحالف 1882-1986**، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1952،ج1.

30. فلاور ريمون: **مصر من قدوم نبليون حتى رحيل جمال عبد الناصر، تر احمد على الناصري**،جلس الاعلى للثقافة، القاهرة.(ب ت)

31. فهمي زكي: **صفوة العصر في تاريخ و رسوم مشاهير رجال مصر** ، مؤسسة الهنداوي، القاهرة ،2013.

32. فهمي عبد الرحمان: **يوميات مصر السياسية**، تح يونان لبيب رزق، الهيئة المصرية للكتب.(ب ت)

33. فهمي عبد الرحمان: **يوميات مصر السياسية**، تح يونان لبيب رزق، الهيئة المصرية للكتب، 1993.

34. قلعجي قدري: **ثلاث اعلام من اعلام الحرية**، دار الكتاب العربي ، بيروت.(ب ت)

35. لاشين عبد الخالق محمد: **سعد زغلول و ثورة 1919**، تقديم احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الكتب و الوثائق القومية ، مصر ، 2009.

36. لاشين عبد الخالق محمد: **سعد زغلول دوره في السياسة المصرية حتى 1914** ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، 2010.

37. محمد محسن : **سعد زغلول مولد الثورة بالوثائق البريطانية الامريكية** ،القاهرة،(ب ت)

38. منتصر صلاح: **من العرابي الى جمال عبد الناصر**، دار الشروق ، القاهرة ، 2003

39. مورو محمد: **كفاح شعب مصر في عهد محمد علي** ، دار الغد ، (ب ب)،2007.

40. مولانا احمد: **جذور العداء العلاقات الخفية بين امن الدولة و الاحتلال الانجليزي**،القاهرة،(ب ت)

41. مؤنس حسين: **دراسات في ثورة 1919**،دار المعارف ،القاهرة ،1976.

42. النجار حسين فوزي: **سعد زغلول الزعامة و الزعيم** ،القاهرة ،مطبعة الاطلس،(ب ت)

43. نجم زين عابدين شمس الدين: **تاريخ العرب الحديث و المعاصر**، دار المسيرة ، عمان، 2011.

44. النحاس يوسف: **صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث و مفاوضات عدلي يكن** ، مطبعة مصر ،القاهرة،1951.

45. نصار نوافر: **حرب السويس و شروق شمس الناصرية**،الاردن ، 2010.

46. هيكل محمد حسين: **مذكرات في السياسة المصرية** ، دار المعارف القاهرة، 1951.

47. هيكل محمد حسين: **مذكرات في السياسة المصرية**، دار المعارف، القاهرة،(ب ت)

48. ياغي اسماعيل احمد: **تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر**، دار المريخ، الرياض ،1993.

49. يحيى جلال: **تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر** ، الاسكندرية ، (ب ت).

المجلات

1. أنيس محمد : " **دور الفلاحين في ثورة 1919** " مجلة أفاق عربية ،ع 27، بغداد ، 1977.

2. رمضان عبد العظيم:" **موقع الجيش المصري في ثورة 1919**"، مجلة السياسة الدولية ، مج 9،ع31، القاهرة ، 1973،ص ص86-91.

3. المبارك صفاء عبد الوهاب:" **بريطانيا و مصر 1919-1955**" ، مجلة المؤرخ العربي، ع25، بغداد ، 1986.

المراجع الأجنبية :

1-Marlowe John :Anglo-Egyptian relations 1800-1956 , London, 1965.

2-Y Zayd.mahmud : Egypts straggle For Independence, beriut,1965.

فهرس الموضوعات

شكر و عرفان

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي : مولد سعد زغلول و تكوينه العلمي و السياسي

اولا : مولده و نشأته..... .....ص6

ثانيا :تكوينه العلمي..... .....ص9

ثالثا :تكوينه السياسي..... .....ص13

الفصل الاول : سعد زغلول مابين 1882-1914

اولا :سعد زغلول وزيرا للمعارف ص18

ثانيا :سعد زغلول وزيرا للحقانية ص24

ثالث : سعد زغلول و الجمعية التشريعية ص28

الفصل الثاني :الحراك السياسي لسعد زغلول خلال حرب العالمية الاولى

اولا :اعلان الحماية البريطانية على مصر 1914/12/18..... ص34

ثانيا :تأليف الوفد المصري و مؤتمر الصلح ص41

ثالثا : نفي سعد زغلول و رفقائه الى مالطا..... .....ص46

الفصل الثالث :من الثورة الى دستور الثورة 1919الى1923

اولا :مجريات ثورة 1919..... ..... ص49

ثانيا :مفاوضات سعد زغلول – منلر.....ص67

ثالثا :تصريح 28 فيفري 1922 و ظهور دستور 1923.....ص74

الفصل الرابع :سعد زغلول ما بين 1923 الى 1927

اولا :وزارة سعد زغلول..... .....ص81

ثانيا :مفاوضات سعد زغلول– مكدونالد..... .....ص87

ثالثا :سعد زغلول في ايامه الاخيرة ص92

خاتمة..... ....ص96

ملاحق..... .....ص99

قائمة البيبلوغرافيا ص106

فهرس الموضوعات..... .....ص111